

• يصدر عن مجلس الثقافة
بالإسكندرية

نور الإسلام

ومؤامرات الموتورين

بأقلام

كبار العلماء والمفكرين



رئيس التحرير

فتحي الابياري

إرضـــاء الـــرب ..
بمحاربة الاسلام والمسلمين !!

** لماذا يحاول أعداء الاسلام.. والموتورون مهاجمة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته.. بضراوة، وعنف بين الحين والحين؟.. وهل الاسلام.. دين حب.. أم إرهاب؟ وفى هذه الأيام بالذات تتكالب وتتكاثف.. كل مخططات الصهيونية والامريكية.. لهدم الاسلام، وتشويه صورته.. وصورة الرسول الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة، وأزكى السلام.

يقول البعض أن هذه الهجمات الشرسة هى خير .. لكى يستيقظ المسلمون والعرب من غفوتهم، ومن حبهم للدنيا وكراهية الموت.. ولكى يواجهوا هذه الحملات المستمرة حيناً، والمعلنة حيناً آخر.

إن ديننا الاسلامى أمرنا بالحب، ودعانا إليه.. وأغرانا به. والايمان فى الاسلام قائم على المحبة، ومؤسس على المودة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذى نفسى بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شئ إن فعلتموه تحاببتم" ، "أفشوا السلام بينكم" !!! فجعل دخول الجنة متوقفاً على الايمان، وجعل الايمان متوقفاً على المحبة ، فالمحبة شرط فى الايمان أو ركن فى العقيدة.

إن حركة "الصهيونية المسيحية" فى أمريكا وعلى رأسها القس "بات روبرتسون" الذى يصف الاسلام بأنه دين الارهاب، وأنه يحض فى تعاليمه على ممارسة الارهاب ضد الآخر، ومن بين أنصار هذه الحركة العنصرية "جيمى سوانمرت" و "جيرى فلويل" و "جيم بيكر" و "كنت كوبلاند" .. الخ ويقول أنصار الحركة إن عدد أنصارها فى أمريكا عدة ملايين، هذه الحركة تؤمن بأن العودة الثانية للمسيح مشروطة بقيام المجتمع

والدولة الصهيونية، وبوجود الوسط اليهودى فى فلسطين وهذا يعنى أن قيام ودعم إسرائيل أمر عقائدى لديهم، ويذهب "روبرتسون" فى كل القداسات التى يقوم بها إلى أن كل ما تنعم فيه الولايات المتحدة من قيم إنما يشير إلى رضاء الرب بسبب دعم اسرائيل، وأي تقصير فى هذا الدعم سوف يجلب غضب الرب. وإذا كان الاسلام والمسلمون هم القوة والدين الذى يحاول التصدى للوجود والتوسعات الصهيونية، فيجب محاربة الاسلام والمسلمين دون هوادة إرضاء للرب.

وإذا كان من شروط عودة المسيح فى عقيدة الصهاينة المسيحيين بناء هيكل سليمان فإنه يجب هدم المسجد الأقصى حتى يتم بناء الهيكل على أنقاضه، كل هذا من أجل عودة المسيح الذى يرسى قواعد العدل والسلام على الارض، ولن يكون ذلك إلا بالقضاء على أعداء المسيح.. وهم المسلمون!!

هذه المعتقدات التى لا تتفق مع المسيحية الأصلية، ولا مع أي من الديانات السماوية، تتسم بقوة وتأثير كبير لأن أصحابها يمتلكون أكبر المؤسسات الاعلامية خاصة الصحافة والتليفزيون وهم أصحاب قوة اقتصادية مؤثرة (شركات ومصانع ومستشفيات ومزارع). وبالتالى فإنهم يشكلون قوة ضغط كبيرة على صناعة القرار الأمريكى. وكما تشير "جريس هالس" صاحبة كتاب النبوءة والسياسة" وهى التى كانت تحرر الخطاب السياسى للرئيس الأمريكى السابق "لندون جونسون" فإن مجلس الأمن القومى الأمريكى فى كل جلساته التى يناقش فيها موضوع الشرق الأوسط يطلب من هذه الحركة الصهيونية المسيحية إرسال مندوب لها لمناقشة الأمور حتى تصدر القرارات موافقة على معتقداتها التورانية.

ولعل هذا العداء المؤصل عقائدياً فى هذه الحركات المتحرفة والغريبة، ضد الاسلام يقتضى تبنى نهضة وبناء الصورة العلمية والثقيلة والاقتصادية، ويتطلب التواصل مع الميديا (الصحف والاذاعات والتليفزيونات الغربية، وتكوين لوبى عربى أو اسلامى مؤثر فى صنع القرار الامريكى، وفى تصحيح صورة الاديان السماوية المنبثقة كلها من عقيدة التوحيد، وفى كشف زيف هذه الحركات المتصهينة، وكشف ما وراءها من أهداف

سياسية واقتصادية خبيثة مدمرة للانسان، ولكل القيم العليا التى نادت بها رسالات السماء إلى الأرض.

والحرب الأمريكية ضد العراق.. بداية للتخطيط الصهيونى والهيمنة الامريكية.. فهل نعقل ذلك إذن من أجل المستقبل ؟!

وهذه الدراسات القصيرة التى تضمنتها دفتى هذا الكتاب والتى اشترك فيها كبار العلماء والمفكرين، وعلى رأسهم الوزير الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف،وكان قد ألقى هذه الدراسة فى محاضرة. وكذلك الدكتور عبد الصبور مرزوق أمين عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية. وقد نشر هذه المقولات فى أماكن متفرقة.

وقد ساهم أعضاء لجنة السيرة والتاريخ بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بهذه الدراسات لمخاطبة الآخر، بأسلوب علمى، فى القاء الاضواء على دعاوى الموتورين وهجومهم على الاسلام والمسلمين وعلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وكشف زيف هذه الدعاوى التى يقف خلفها بعض المستشرقين الموتورين، والصهاينة أو اعداء الاسلام من المتعصبين.

وسلسلة "كتاب أمواج" التى تصدر عن مجلس الثقافة بالاسكندرية، وتوزع مجاناً، يسعدها المساهمة فى نشر "نور الاسلام" بالاسلوب العلمى،ومواجهة كل مؤامرات الموتورين، وخاصة فى هذه الايام ونأمل أن تترجم هذه الدراسات إلى اللغات الاجنبية، لشرح وتوضيح صورة الاسلام.. نور الله على الأرض "دين الحب.. والسلام والمحبة".

فتحى الابيارى

د. محمود حمدى زقزوق

الاستشراق من وجهة النظر الإسلامية

● آثار بعيدة للاستشراق (١) :

ليس هناك شك فى أن الاستشراق له اثر كبير فى العالم الغربى وفى العالم الاسلامى على السواء ، وان اختلفت ردود الافعال على كلا الجانبين. ففى العالم الغربى لم يعد فى وسع احد يريد ان يكتب عن الشرق او يفكر فيه او يمارس فعلا مرتبطا به ان يتجاهل الثروة العلمية الهائلة التى انتجها الاستشراق فى السابق او اللاحق . وفى العالم العربى الاسلامى المعاصر لا يكاد المرء يجد مجلة أو صحيفة او كتابا الا وفيها ذكر او اشارة الى شىء عن الاستشراق او يمت اليه بصلة قريبة او بعيدة .

وهذا امر ليس بمستغرب ، ذلك ان الاستشراق كان ولا يزال له اكبر الأثر فى صياغة التصورات الغربية عن الاسلام وفى تشكيل مواقف الغرب ازاء الاسلام على مدى قرون عديدة .

* * *

● ردود الفعل فى العالم الاسلامى :

والاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء فى العالم العربى الاسلامى ، فهناك من يؤيده ويتحمس له الى ابعد الحدود ، وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا(٢) .

---

(١) نص محاضرة القيت فى معهد الدراسات العربية بجامعة جوتنجن بالمانيا الغربية فى ١٩٨٥/٧/١١

(٢) انظر كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٣ وما بعدها .

وكمثال قريب لهذا الفريق الأخير اذكر اننى القيت محاضرة بعنوان « الاسلام والاستشراق »(٣) منذ بضع سنوات فى احدى الدول العربية ، وقد جاء فى حديثى ثناء على ما بذله المستشرقون من جهود لحفظ المخطوطات العربية التى جلبت الى أوروبا ، وتسهيل الاستفادة منها وفهرستها فهرسة دقيقة ، وذكرت أن ذلك يعد من الجوانب الايجابية التى تذكر للمستشرقين • ولكن محاضرا آخر القى بعد ذلك ببضعة اشهر فى نفس المكان محاضرة عن التراث العربى الاسلامى ، وفى حديثه عن المخطوطات العربية التى جلبت الى اوروبا ذكر أنه كان يتمنى ان تحرق هذه المخطوطات ولا تقع فى ايدى المستشرقين لأنهم قد استخدموها ضد العرب والمسلمين •

والواقع أن كلا من هذين الاتجاهين : المتحمس للاستشراق بلا حدود ، والرافض له بلا حدود غير منصف فيما ذهب اليه • فكل منهما يمثل تيارا غير علمى وغير نقدى •

فالاستشراق من ناحية غير معصوم من الخطأ ، كما أنه من ناحية أخرى ليس كله شرا بالنسبة للاسلام والمسلمين •

فالاتجاه الأول مبهور بالحضارة الغربية والتقدم العلمى والتكنولوجى فى الغرب وبالتالى فان كل ما يأتى من الغرب لا بد أن يكون ـ من وجهة نظر هذا الاتجاه ـ سليما وعلميا وموضوعيا •

أما الاتجاه الثانى فهو اتجاه رافض للحضارة الغربية وان كان يأخذ بأسباب التقدم العلمى • ورفضه للاستشراق مبنى على اسباب عديدة ، من بينها الظروف التى ادت الى نشأة الاستشراق وارتباط أهدافه فى مراحل معينة بالتبشير ومواقفه العدائية ضد الاسلام منذ العصر الوسيط ، وكذلك ظروف الصدامات العسكرية التى حدثت بين الغرب والشرق الاسلامى على مدى قرون عديدة ، وأخيرا فى العصر الحديث ما كان من ظروف الاستعمار الغربى للبلاد الاسلامية واذلاله لشعوبها وتحقيره لدينها وحضارتها ، وما صحب ذلك من نظرة الاستعلاء الغربية فى علاقة الغرب بتلك الشعوب المغلوبة على أمرها • وقد لعب بعض المستشرقين أدوارا هامة ساعدت الاستعمار الغربى ، وساعدت على ترسيخ نظرة الاستعلاء الغربية ازاء

(٣) قامت مكتبة وهبة بنشرها عام ١٩٨٤

الاسلام والمسلمين . وقد سخروا معلوماتهم عن الاسلام وتاريخه فى سبيل مكافحة الاسلام والمسلمين . وهذا واقع مؤلم يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة(٤) .

وهكذا يستطيع المرء ان يفهم الأسباب التى أدت الى وجود تيار قوى فى العالم العربى الاسلامى يرفض الاستشراق رفضا تاما .

ولعله من الأمور المسلم بها الآن لدى المستشرقين أن صورة الاسلام فى الغرب كانت بالفعل صورة قاتمة ومطبوعة بطابع سلبى منذ العصر الوسيط ، وانها كانت أبعد ما تكون عن أن تكون صورة موضوعية للاسلام . وقد بدات البحوث الاستشراقية منذ فترة فى محاولة التخلص من قيود هذه الصورة التى خلفها العصر الوسيط . ولا نستطيع من وجهة نظر اسلامية أن نقول ان الاستشراق قد تخلص نهائيا فى دراسته للاسلام على وجه الخصوص من كل هذه القيود ، وان كانت المحاولات مستمرة والحمد لله .

* * *

● التيار النقدى :

وحيث ان كلا من الاتجاهين المشار اليهما : الاتجاه المتحمس للاستشراق والاتجاه الرافض له غير منصف فيما ذهب اليه ، فانه كان لا بد من ظهور تيار ثالث يحاول ان يكون لنفسه رؤية موضوعية عن الاستشراق واهدافه واعماله ومنشوراته العلمية ، ويحاول جاهدا ان ينقد ما يراه سلبيا من وجهة النظر الاسلامية ، ولا ينسى فى الوقت نفسه أن يذكر الايجابيات التى تذكر للاستشراق فى المجالات العلمية المتعلقة بالدراسات العربية والاسلامية .

وهذا الاتجاه الثالث هو فى حقيقة الأمر الاتجاه الذى يمكن أن نسميه اتجاها اسلاميا حقيقيا ، لأنه هو الذى يتفق مع ما يطلبه الاسلام فى مثل هذه الأحوال انطلاقا من قول القرآن الكريم « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** »(٥) .

---

(٤) انظر كتابنا : الاسلام فى الفكر الغربى ص ٦٠

(٥) المائدة : ٨

وفى هذا الاطار نود من وجهة نظر اسلامية ان ننظر الى الاستشراق فى محاولة لبيـان وجهة النظر هذه التى لا ينبغى ان يتجاهلها الاستشراق او يمر عليها مر الكرام ، بل ينبغى ان تكون دافعا لحـوار بنـاء بين المستشرقين المعتدلين من جانب ، واصحاب هذا الاتجاه النقدى من جانب آخر · فعن هذا الطريق فقط يمكن ان يكون هناك سبيل الى الفهم المتبادل والتعاون العلمى المشترك فى عالم اليوم الذى تتشابك فيه المصالح وتتعدد فيه مجالات الاهتمامات المشتركة ، بهدف الوصول الى ما فيه خير الجانبين الغربى والاسلامى · ولكى يتم ذلك فانه لا بد من تحقيق شرط ضرورى فى هذا الصدد ، وهو التحرر التام من كل الأحكام المسبقة والعقد القديمة والحديثة على كلا الجانبين ·

* * *

● **تقييم موضوعى :**

والآن ما هى وجهة نظر هذا التيار الاسلامى فى نقده وتقييمـه للاستشراق ؟

يفرق هذا الاتجاه ابتداء بين فئات المستشرقين ، فلا يصدر تعميما خاطئا ، بل يعترف بأن هناك مستشرقين موضوعيين يتسمون بالنزاهة فى الحكم والحيدة فى البحث ، ومستشرقين آخرين لا تتسم اعمالهم بـأى شكل من اشكال الموضوعية والحياد العلمى ، بل تصطبغ بأهداف اخـرى غير علمية · ويقدر هذا الاتجاه ايضا للمستشرقين بصفة عامة ما يبذلونـه من جهود مضنية وصبر عجيب فى البحث والدرس ، واخلاص تام لخدمة اهدافهم واطلاع واسع واحاطة بالعديد من اللغات القديمة والحديثـة · وقد اشار الى شىء من ذلك ايضا الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان شيخا للأزهرفى نهاية النصف الأول من القرن الحالى ·

* * *

● **ايجابيات المستشرقين :**

ويذكر هذا الاتجاه الاسلامى بالتقدير الجهود التى بذلها المستشرقون فى العناية بالمخطوطات العربية التى جلبت الى أوروبا وفهرستها فهرسة علمية نافعة ، وكذلك ما قدمه الاستشراق من دراسات حول الكثير من هذه

المخطوطات ، ونشره للعديد من امهات كتب التراث العربى الاسلامى بعد تحقيق مخطوطاتها تحقيقا علميا ؛ مما اتاح للباحثين فرصة كبيرة وادى للبحث العلمى خدمة جليلة .

ولم يقتصر المستشرقون على مجال التحقيق والنشر ، بل قاموا بترجمات شتى بلغات مختلفة للعديد من الكتب العربية الاسلامية ، وقاموا ايضا باصدار ترجمات للقرآن الكريم ، وان كانت للمسلمين بعض التحفظات على ما جاء فى مقدمات الكثير من هذه الترجمات والتعليقات التى صحبت هذه الترجمات .

وقد اضاف المستشرقون لذلك كله ما قدموه من دراسات عديدة فى جميع مجالات العلوم العربية والاسلامية ، فقد قدموا انتاجا غزيرا بلغ حسب بعض الاحصائيات ستين الف كتاب منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين(٦) .

ومما يذكر للمستشرقين ايضا بالتقدير تلك المراجع الهامة التى ادت ولا زالت تؤدى خدمات جليلة للباحثين فى شتى مجالات العلوم العربية والاسلامية ، مثل كتاب بروكلمان « تاريخ الأدب العربى » ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وان كان للمسلمين على هذه الدائرة بعض المآخذ ايضا .

وللاستشراق كذلك جهود مشكورة فى مجال المعاجم والقواميس اللغوية . ونخص هنا بالذكر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذى اشرف على اخراجه فينسنك ، والذى تفيد منه الجامعات والمعاهد الاسلامية فى العالم الاسلامى والعربى .

كل هذه امور ايجابية تذكر بالتقدير للمستشرقين .

* * *

● مآخذ على اعمال المستشرقين :

ولكن هناك فى الجانب الآخر ما يأخذه الجانب الاسلامى على اعمال المستشرقين ، وهى مآخذ تتركز اساسا فى الدراسات المتعلقة بالدين الاسلامى .

---

(٦) ادوارد سعيد : الاستشراق ص ٢١٦ ترجمة كمال أبو ديب — مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨١

والواقع انه ليس بالأمر الغريب أن يختلف المستشرقون مع المسلمين فى الرأى حول الاسلام ، ذلك لأن منطلق تفكير المستشرقين بالنسبة للاسلام ونبيه يختلف عن المنطلق الذى يصدر عنه تفكير المسلمين ، ولهذا تختلف وجهات النظر بين الجانبين وستظل مختلفة .

ولا ينتظر الجانب الاسلامى ان يتبنى الاستشراق وجهات النظر الاسلامية ، ولا يطلب من كل مستشرق ان يغير معتقده ويعتقد ما يعتقده المسلمون عندما يريد أن يكتب عن الاسلام . ولكن هناك امورا اولية بديهية يتطلبها المنهج العلمى السليم . فعندما ارفض وجهة نظر معينة لا بد ان ابين للقارىء اولا وجهة النظر هذه من خلال فهم اصحابها لها ، ثم لى بعد ذلك ان اوافقها او اخالفها .

ولكن هذا المنهج الطبيعى والمنطقى لا يلتزم به الا قليل من المستشرقين فى عرضهم للاسلام . والذى يحدث فى اغلب الأحيان هو العكس من ذلك تماما . وبذلك يتعرض القارىء نتيجة لذلك – ما لم يكن على علم – الى شىء من الايحاء برأى معين ، أو يتعرض على الأقل الى اختلاط فى الأمور يجعله عاجزا عن التمييز بين الأصل المتوارث لدى جماعة المسلمين وبين راى الكاتب . فهناك كثير من المستشرقين يؤكدون مثلا ان القرآن من تاليف محمد ثم يذهبون مذهبا بعيدا فى تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية على هذا التاكيد ، وسرعان ما ترتفع هذه الأحكام بمحض الشهرة الى مرتبة الحقائق .

وهكذا يتم التشكيك فى مصدر الوحى القرآني ونسبة تاليفه الى محمد ، والزعم بانه – وهو الذى كان اميا لا يقرا ولا يكتب – قد جمعه من آثار الدينين السابقين عليه وهما اليهودية والمسيحية ، وانه تلقى فى تاليفه مساعدات أجنبية ، وتضخيم اثر اللقاء العابر لمحمد ﷺ فى رحلته الى الشام ببحيرى الراهب السورى .

ويرتبط بالتشكيك فى مصدر القرآن ايضا التشكيك فى صحة النص القرآنى استنادا الى مسألة القراءات العديدة واعتمادا على بعض الروايات الباطلة التى يرفضها المسلمون .

وينتقل التشكيك الى السنة والأحاديث التى وردت عن النبى محمد ﷺ . والسنة كما هو معروف هى أقوال النبى وافعاله وتقريراته ، وعلاقتها

بالقرآن هى علاقة التوضيح والتبيين كما يقول القرآن فى ذلك مخاطبا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم : **« وأنزلنا اليك الذكر (أى القرآن) لتبين للناس ما نزل اليهم »**(٧) ، **« وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه »**(٨) .

وليس يخفى على احد من الدارسين للاسلام مدى الجهود التى بذلها علماء المسلمين فى نقد الروايات وضبط الأسانيد فيما يتعلق بالأحاديث التى وردت عن النبى ﷺ . ويكفى ان نعلم ان الامام البخارى الذى جمع ما يربو على نصف مليون حديث لم يصح لديه منها بعد النقد والضبط والبحث والاستقصاء الا حوالى اربعة آلاف حديث فقط .

وقد حاولت بعض الاتجاهات الاستشراقية ايضا منذ «رينان» تجريد العقلية الاسلامية من كل لون من الوان الابتكار : فالفلسفة الاسلامية فى راى هذا البعض ليست الا ترديدا لأفكار اليونان ، والتصوف الاسلامى مبنى على جذور غير اسلامية ، والشريعة الاسلامية مأخوذة من القانون الرومانى وهكذا .

وتلجأ بعض الاتجاهات الاستشراقية الى تضخيم اهمية الفرق المنشقة عن الاسلام واظهارها بأنها صاحبة فكر عقلى ثورى تحررى . وفى المقابل يظهر الاسلام كدين بأنه قد عفا عليه الزمن ، وانه اذا أريد معرفة الاسلام اليوم فعلى المرء ان يبحث عنه فى فرق الدراويش . واذكر فى هذا الصدد ما كان يردده الأستاذ « كيسلنج » فى محاضراته بجامعة « ميونيخ » فى أواسط الستينات عما كان يسميه بالاسلام الميت والاسلام الحى . فالاسلام الميت – فى نظره – هو اسلام الكتاب والسنة ، والاسلام الحى هو اسلام الطوائف العديدة المنتشرة فى العالم الاسلامى وبخاصة طوائف الدراويش . وهكذا يراد ان يتحول الاهتمام من البحث الأساسى فى جوهر الدين الاسلامى ومصادره الأساسية : القرآن والسنة الى الاهتمام بظواهر ثانوية وقتية .

وقد أظهرت الصحوة الاسلامية منذ أوائل السبعينات ان ما يسمى بالاسلام الميت لا يزال حيا وقويا فى نفوس أتباعه فى كل مكان فى العالم الاسلامى ، حتى فى تلك البلاد التى بذلت فيها شتى المحاولات لمحو كل مظهر من مظاهر الاسلام محوا تاما .

* * *

---

(٧) النحل : ٤٤ . (٨) النحل : ٦٤ .

● الاسلام وحده هو المستهدف :

والأمر الغريب هو ان الدراسات الغربية حـول الديانات الوضعية مثـل البوذية والهندوسية غالبا ما تكون دراسـات موضوعية بعيـدة عن أى تجريح .

ولكن الاسلام وحده من بين كل الأديان هو الذى يتعرض فى الغرب للنقد والتجريح على الرغم من انه دين يؤمن بالله ويحترم اليهودية والمسيحية ويؤمن بموسى وعيسى ويرفعهما فوق النقد بوصفهما من انبياء الله عليهم السـلام .

وليس هناك شك فى ان صور التحامل القديم على الاسـلام منذ العصر الوسيط قد خفت حدتها الى درجة كبيرة ، وان هناك مستشرقين يحاولون جاهدين ان تظل دراستهم للاسلام محصورة فى نطاق البحث العلمى النزيه .

ويقتضينا الانصاف أيضا أن نشير الى ان الدراسات الاستشراقية بصفة عامة كلما كانت بعيدة عن مجالات العقيدة الاسـلامية كلما كانت اقرب الى الموضوعية وابعد عن التحامل . ولكن هنـاك فى الوقت نفسه مستشرقين لا يزالون يرددون بصورة او بأخرى مزاعم العصر الوسيط حول الاسـلام .

فاذا عبر المسلمون عن استيائهم ازاء هـذا التحامل الظالم على الاسـلام من جانب بعض المستشرقين فان هـذا يعنى فى نظـر بعض الباحثين الغربيين عدم قدرة المسلمين على فهم الأمور فهما علميا .

ومن يقرأ بعض البحوث الاستشراقية عن الاسـلام لابد ان يخرج بانطباع معين يتمثل فى ان المسلمين يعيشون فى ظل وهم كبير واكذوبة تاريخية عندما يعتقدون ان القرآن وحى من عند الله تلقاه محمد ﷺ بوصفه خاتم النبيين ليبلغه للناس . ان الاسـلام الذى تعرضه مثل هذه البحوث ليس هو الاسـلام الذى يدين به المسلمون وانما هو اسـلام من صنع الخيال ، وان محمدا الذى تصوره مثل هـذه الدراسات ليس هو محمد الذى يؤمن المسلمون برسالته وانما هو شخصية اخرى مخترعة لا يعرفها المسلمون . ماذا يتبقى للمسـلمين عندما يطعنون فى اقدس مقدساتهم التى تتمثل فى دينهم وقرآنهم وشخصية نبيهم ؟

هل يقبلون ذلك صاغرين ام يعترضون ؟

انه اذا اريد الوصول الى تفاهم افضل بين الغرب والاسلام فلابد من ان تتخلص نظرة الغرب الى الاسلام من الأحكام المسبقة التى هى من موروثات العصر الوسـيط والتى تتردد اليـوم كثيرا فى وسـائل الاعلام الغربية ٠

فالاسلام — فى نظر وسائل الاعلام هذه — دين دموى ، والارهاب نابع من الاسلام ٠ والاسلام دين لا يحترم المرأة ، وهو دين شـهوانى يجرى وراء اللذة باباحته تعدد الزوجات ، والجهاد — الذى شرع فى الاسلام ليكون اداة دفاعية يرد عن المسلمين عدوان المعتدين كما يقول القرآن الكريم : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين** »(٩) — هذا الجهاد يصور بأنه يعنى تدمير الحضارة الغربية ودمار البشرية ، كما يجرى الخلط بين الاسلام كدين وما نشاهده اليوم من تخلف وصراعات فى العالم الاسلامى ٠

فهل الاسلام مسئول عن هـذا كله ؟

ان النظرة الموضوعية تبين ان الاسلام كدين ليس مسئولا عن شىء من ذلك ، بل على العكس نرى — كما يرى ايضا المفكر الاسلامى الراحل مالك بن نبى — أن التخلف الذى يعانى منه المسلمون اليوم يعد عقوبة مستحقة من الاسـلام على المسـلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كمـا يزعم الزاعمون ٠

وبالمثل لا نستطيع ان نقول ان المسيحية كانت مسئولة عن الحربين العالميتين اللتين اكتوت اوروبا بنارهما فى النصف الأول من هـذا القرن ، كمـا انها ايضـا ليست مسـئولة عن الصراع الدينى الدموى المسـتمر فى ايرلنـدا ٠

* * *

● الاستشراق ومسئولية المسلمين :

ويحق لسائل أن يتساءل :

لمـاذا لا يتولى المسلمون أنفسهم عرض وجهات نظرهم حول دينهم وحضارتهم باللغات الأوروبية ؟

---

(٩) البقرة : ١٩٠.

لماذا لا يكون لهم انتاجهم الذى ينشرونه فى العالم الغربى ؟

هل يراد ان يتولى الاستشراق عنهم هذه المهمة التى هى من اختصاصهم ؟

وهذه تساؤلات فى محلها ، فالمسلمون مقصرون بالفعل فى حق انفسهم وفى حق دينهم وحضارتهم · وقد تعرضت فى كتابى عن الاستشراق لهذه النقطة ·

ولكن يحق لنا ايضا ان نتساءل : لمن يكتب الاستشراق ، ومن هم هؤلاء الذين يريد الاستشراق أن يخاطبهم ؟

هل يريد الاستشراق ان يخاطب القراء فى الغرب فقط ام يريد ان تقرأ الأعمال الاستشراقية من قبل المسلمين ايضا وتنال الاهتمام لدى المثقفين فى العالم العربى الاسلامى ؟

لا اعتقد ان الاستشراق يريد أن يحصر نفسه فى دائرة الغرب فقط ، بل انه يحرص ايضا على ان يكون له قراؤه فى العالم العربى الاسلامى ، كما ان هناك من ناحية أخرى ارتباطا وثيقا بين المصالح الغربية فى العالم الاسلامى ودعم الحركة الاستشراقية فى الغرب · وهذا أمر يدعو ايضا الى احترام مشاعر القراء المسلمين وعدم المساس بمقدساتهم ، على الأقل حفاظا على استمرار المصالح الغربية فى العالم الاسلامى ·

اما عن جهود الجانب الاسلامى فى هذا الصدد فأذكر أنه كانت هناك جهود كان لى شرف المشاركة فيها فى اطار الجامعة العربية فى عام ١٩٧٩ لاصدار موسوعة باللغة العربية وست لغات اوروبية تتضمن الرد الاسلامى على وجهات النظر الاستشراقية التى تتعارض مع ما يعتقده المسلمون ويؤمنون به · ولكن الظروف السياسية التى مرت بالمنطقة العربية منذ ذلك التاريخ قد حالت حتى الآن دون المضى فى هذا المشروع الثقافى(١٠) ·

وقد عرضت فى كتابى عن الاستشراق على من يهمهم الأمر فى العالم الاسلامى بعض المقترحات التى تتضمن تكوين هيئة اسلامية علمية عالمية تكون بعيدة عن اية تيارات سياسية ، تهتم بالبحث العلمى الاسلامى

---

(١٠) انظر فى ذلك كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٣١ وما بعدها ·

على نطاق عالمى ، وتصدر مجلة اسلامية علمية متخصصة باللغات الحية ، ومؤلفات تعرض الاسلام عرضا موضوعيا بشتى اللغات ، واقترحت ايضا اصدار دائرة معارف اسلامية باللغة العربية واللغات الأوروبية تعرض وجهات النظر الاسلامية ، وكذلك ترجمة اسلامية لمعانى القرآن الكريم باللغات الأوروبية .

* * *

● **اهميــة الحوار مع المستشرقين المعتدلين :**

وقد اقترحت ايضا اجراء حوار مع المستشرقين المعتدلين ، فمثل هذا الحوار سيكون له من غير شك اثره الايجابى على كلا الجانبين .

وهذا الحوار امر لابد منه حتى يمكن ان يسمع كل جانب وجهة نظر الجانب الآخر ، اذ ان ما يحدث حاليا يمكن ان يوصف بصفة عامة بأنه « حوار الصم » فكل جانب يتحدث دون ان يسمعه الجانب الآخــر او حتى يحاول ان يسمعه .

فالمستشرقون يكتبون والعالم العربى الاسلامى لا يحاول فى الغالب ان يسمع بحجة أن الاستشراق لا يمكن أن يكون منصفا للاسلام والمسلمين . والمسلمون يكتبون ، وعالم الاستشراق يتجاهل فى الغالب ايضا ما يكتبه المسلمون بحجة أن ما يكتبه المسلمون لا يعبر الا عن انفعالات غير علمية . وحتى لا نقع فى تعميم خاطىء نقول : ان هناك على كلا الجانبين بعض من لديه الاستعداد لسـماع الجانب الآخر ، ولكـن الغالبية العظمى على غير ذلك .

وقد آن الأوان ليسمع كل منا الآخر ويحترم كل منا وجهة نظر الجانب الآخر .

وقد اسعدنى حينما كنت اتولى عمادة كلية اصـول الدين بجامعة الأزهر فى نهاية السبعينيات أن أنظم محاضرة فى جامعة الأزهر لكل من المستشرق الفرنسى الأستاذ «ارنالدز» الأستاذ بجامعة السوربون والمستشرق الألمانى الأستاذ «فرنراندە» الأستاذ بجامعة فرايبورج حاليا حينما كان كل منهما فى زيارة للقاهرة . وقد تحدث الأستاذ « ارنالدز » عن فلسفة الفارابى السـياسية ، وتحـدث الأستاذ «انده» عن تاريخ العـلاقات

الاسلامية الالمانية . وكان الاقبال على كلا المحاضرتين كبيرا جدا فوق ما كنا نتوقع(١١) .

ولعل وجودى هنا فى جامعة «جوتنجن» الآن وحديثى اليكم فى هذا الموضوع الذى يتسم بالحساسية الشديدة يكون بداية طيبة لحوار بناء ومستمر على جميع المستويات العلمية بين المستشرقين المعتدلين من جانب وعلماء العالم الاسلامى من جانب آخر .

* * *

---

(١١) لقد قمت أيضا فى أوائل عام ١٩٨٦ بدعوة الأستاذ تلمان ناجل مدير معهد الدراسات العربية بجامعة جوتنجن بالمانيا الى القاء محاضرة فى كلية اصول الدين . وقد ألقى محاضرته فى موضوع « الصلة بين الشريعة وعلم الكلام فى نظر الأشاعرة » . وقد كان لهذه المحاضرة صدى طيب لدى الأساتذة والطلاب .

د.عبد الصبور مرزوق

مقولات ظالمة

تلفيق القرآن من الكتب السابقة

يهودية ونصرانية وعناصرجاهلية

مما لا يختلف عليه أحد أن ثمة قيما وفضائل إنسانية ارتضتها البشرية وتعارفت على احترامها والتزامها وهى قيم الحق والعدل والخير والجمال والفضيلة وغيرها .

كما أن ثمة أمورا رفضتها البشرية كذلك وتعارفت على نبذها ومقاومتها وهى الباطل والظلم والشر والرذيلة وكل إفساد فى الأرض .

وهذا الذى ارتضته أو رفضته البشرية بهدى الفطرة - وحصاد التجربة لم تنكره الأديان السماوية جميعها ولم تناقضه بل أكدته وقننته ووضعت له التشريعات الأخلاقية التى تحدد المثوبة لما هو خير والعقوبة لما هو شر مع التفريق الحاسم بين الخبيث والطيب وبين الحلال والحرام .

من هنا لا يجوز أن يتهم محمد ﷺ بأنه لفّق رسالتَه من عناصر جاهلية لمجرد أنه كان قد أثنى - بعد البعثة - على « حلف الفضول » أو حلف « المساعى الحميدة » الذى اشترك فيه فترة شبابه ، ومن هنا أيضا لا يجوز اتهام أية رسالة سماوية بالتلفيق إذا هى أقرت قيمة فاضلة ونبذت الشر والرذيلة .

كما أنه لا يصح بصفة خاصة اتهام القرآن بأن محمدا ﷺ لفقه من الكتب السابقة يهودية كانت أم نصرانية لما يأتى :

أولا : لما سبق تقريره عن القيم التى أقرتها البشرية وتعارفت على قبولها إن كانت خيراً أو رفضها إن كانت شراً مما جاءت الرسالات السماوية لتؤكده .

ولو صح اتهام القرآن بالتلفيق لصح الاتهام بالنسبة للتوراة والإنجيل كذلك .

ثانيا : من الثابت أن الرسالات السماوية كانت تعبر كل منها عن مرحلة من مراحل التطور الإنسانى وما يقابله من تطور الرسالات ، وكما يقول الإمام محمد عبده - رحمه الله - ، لما كانت الأديان السماوية الأولى وعلى رأسها « اليهودية » قد ناسبت طفولة البشرية فخاطبت الحسَّ حيث لا يعرف الإنسان إلا ما يقع تحت حسه .

فلما نما وجدان البشرية جاءها دين « النصرانية » يتحدث عن الزهادة والصفاء وملكوت الله فى مواجهة حرص اليهود على متاع الدنيا وإن أهدرت فى سبيله « القيم » .

فلما بلغت البشرية حالة اكتمال تطورها جاءها دين « الإسلام » ينظم الشئون كلها ويرعى الحس والعاطفة ويعنى بالقلب والعقل وينظم للناس شئون دنياهم وأخراهم .

***

ثالثا : لهذا كان دور القرآن باعتباره الرسالة الخاتمة هو الهيمنة على كل ما سبقه من رسالات يؤكد ما هو صحيح فيها ويصحح ما هو خطأ وهو إن اتفق مع الكتب السابقة أو اختلف معها ليس ملفّقا منها ولا مأخوذا عنها . لكنه التعبير الدقيق عن تكامل الرسالات السماوية واكتمالها كما تحدث القرآن نفسه عن ذلك (١) .

رابعا : الدراسات المقارنة للكتب الثلاثة الأخيرة « التوراة والإنجيل والقرآن » تؤكد بوضوح كما يعترف الغربيون (٢) أن الحق دائما هو ما يقرره القرآن سواء فى قضية « الألوهية » أو قضية « المسئولية الفردية » أو « الدستور الأخلاقى » أو « الواقعية » فى التعامل مع « الإنسان » بشقّيه : الروح والجسد .

ثم إنه - ودون تعصب - فليس فى الرسالتين السابقتين ما كان محمد ﷺ بحاجة لأخذه منهما فى شئون الدنيا أو الآخرة .

---

(١) تراجع سور البقرة : ٤١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، آل عمران : ٣ ، ٣٩ ، ٥٠ ، النساء : ٤٧ ، والمائدة : ٤٦ ، ٨ ، وغيرها والتى تقرر جميعها أن القرآن - كتاب الرسالة الخاتمة - جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وهو بهذا يكون المرجع الصحيح الذى تراجع عليه نصوص الكتب السابقة فكيف يجوز اتهامه بالتلفيق منها أو من غيرها ؟ .

(٢) يراجع موريس بوكايل فى كتابه التوراة والإنجيل والقرآن ص : ١٣٦ .

ومع هذا ، كان من عظمة القرآن أنه اعتبر إيمان المسلم غير صحيح ما لم يؤمن بكل ما سبق القرآن من كتب (١) .

يبقى بعد هذا أن ثمة حاجزا حصينا بين محمد ﷺ وبين فرصة أى اطلاع على هذه الكتب :

أولا : لأنه كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة .

ثانيا : حتى لو سلمنا بالزعم بأنه قرأ أو كان يقرأ فإن هذه الكتب : التوراة والإنجيل كانت مكتوبة بلغة غير عربية وهى العبرية . فمن أين يأتى التلفيق ؟ . وكيف يتاح له ﷺ أن يتعرف عليها حتى يأخذ منها ويلفِّق منها كتابه كما زعموا ؟! .

---

(١) آية آمن الرسول [البقرة : ٢٨٥] ، وآل عمران : ٨٤ .

مقولة :

محمد ﷺ كان شهوانيا والدليل كثرة زوجاته

أ - مرحلة ما قبل الزواج

فى بلاد حارة كبلاد العرب حيث نشأ ﷺ يبلغ الفتيان الحلم مبكرا وتكون عواطفهم فوارة وشهواتهم جامحة فيبادرون إلى الزواج المبكر . أو ينحرفون وراء الشهوات المحرمة ينالون منها ما يطفىء ظمأهم . هكذا كان المجتمع حيث نشأ صلوات الله عليه .

لكنه - وهو ما تتفق الروايات والاتجاهات كلها عليه - قد سلم من هذه الأوضاع ومكث حتى الخامسة والعشرين من عمره دون زواج ، ولم يعرف عنه أى انحراف ، وإنما - كما يعترف المستشرق « موير » - فان جميع المراجع متفقة على أن النبى فى شبابه كان مطبوعا بالهدوء والدعة والابتعاد عن المعاصى التى كانت قريش تغترف منها .

***

ب - مرحلة الزوجة الواحدة

قبيل زواجه عمل فى التجارة لخديجة بنت خويلد الأرملة الثرية ذات الحسب والشرف والتى كانت تكبره بخمسة عشر عاما ، ولمست هى من خلال التعامل معه أمانته وعفته وطيب شمائله فبعثت إليه تعرض زواجها منه ، وتم هذا الزواج .

وكان له منها الأولاد جميعا إلا إبراهيم الذى كان ابن « مارية » المصرية .

وعاش معها حتى توفيت وكان هو قد جاوز الخمسين ، ولم يدر بخلده يوما أن يتزوج عليها فى مجتمع كان التعدد فيه هو العرف والعادة ، وبقى ﷺ وفيا لذكراها يتحدث عنها دائما بالتقدير والمحبة مما كانت تغار منه بعض نسائه .

***

جـ - والزوجة الواحدة أيضا حتى الرابعة والخمسين

لما توفيت خديجة حزن عليها الرسول - كما لم يحزن من قبل - حتى أشفق عليه أصحابه فبعثوا إليه « خولة بنت حكيم » السيدة المسلمة زوج عبد الله بن مظعون تحثه على الزواج **فقال لها أمن بعد خديجة** ؟ قالت : عائشة بنت أبى بكر أحب الناس إليك . قال : ولكنها صغيرة ! قالت : الصغيرة تنضج . قال : ومن لبنات رسول الله حتى تنضج ؟ قالت سودة

بنت زمعة (أرملة السكران بن عمرو) توفى عنها بعد ما عاد من الهجرة إلى الحبشة وتركها بين أهله المشركين فتزوجها الرسول ﷺ .

ولما سمع الناس بأمر هذا الزواج أيقنوا أنه إنما ضمها رفقا بحالها وشفقة عليها وحفظا لإسلامها لأنها كانت مسنة غير ذات جمال ولا مطمع فيها للرجال . وأبقى عليها زوجة واحدة مدة أربع سنوات حتى كبرت عائشة .

وهذا دليل على أن « التعدد الذى حدث بعد الرابعة والخمسين إلى الستين لم يكن للشهوة والملذات وإنما لأسباب إنسانية وسياسية حكيمة كما سنرى .

* السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب استشهد زوجها خنيس ابن حذافة السهمى فى غزوة بدر وهى فى الثامنة عشرة فخاف أبوها عليها فعرضها على أبى بكر فلم يجبه ، فعرضها على عثمان وكانت زوجته رقية بنت الرسول قد ماتت فأعرض فذهب غاضبا إلى الرسول يشكو إعراض صاحبيه فقال الرسول مطيبا خاطره ، مداويا جرحه : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة فتزوجها ﷺ .

وما عرضه عمر من تزويج ابنته دليل واضح على حرص المجتمع على تزويج أرامل الشهداء جبرا لكسرهن وصونا لعفافهن وهو ما فعله الرسول فى أكثر من حالة .

* السيدة زينب بنت خزيمة الهلالية كانت أرملة عبيدة بن الحارث بن عم الرسول الذى استشهد في غزوة بدر .

* السيدة أم سلمة « هند بنت زاد الراكب » أرملة عبد الله بن عبد الأسد ابن عمة الرسول الذى جرح فى غزوة بدر واستشهد فى أعقاب غزوة أحد : وقد خطبها أبو بكر وعمر فأبت فلما خطبها الرسول قالت معتذرة ان بها غيرة وأنها مسنة وذات عيال . فقال الرسول : أما انك مسنة فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فسيذهبها الله عنك وأما العيال فإلى الله ورسوله . وتم الزواج .

وكونه لم يتقدم إليها إلا بعد رفضها لصاحبيه دليل على نفى حكاية الشهوة فى هذا الزواج الذى كان المقصود منه حماية أرامل الشهداء ورعاية أولادهم حتى يستيقنوا عند خروجهم للجهاد كفالة المجتمع لذويهم بعد موتهم .

***

* السيدة زينب بنت جحش وزواجها - كما تحدث القرآن - كان لحكمة تشريعية هى ابطال عادة التبنى التى كانت سائدة فى المجتمع .

***

* السيدة ريحانة بنت عمرو القرظية ، كانت من سبى يهود بنى قريظة ، وعرض عليها الرسول أن يعتقها ويتزوجها فآثرت أن تكون فى ملك « اليمين » وكان دخولها بيت النبوة

سببا فى كسر حدة عداوة أهلها وتليين قلوبهم .

***

* السيدة برة (جويرية) بنت الحارث سيدة بنى المصطلق ، كانت وقعت فى السهم لثابت بن قيس فكاتبها على نفسها مغاليا فى القيمة فذهبت إلى الرسول تستعينه فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو ؟ قال أقضى عنك وأتزوجك ؟ قالت : نعم ، ولما ذاع الخبر حرر المسلمون مائة امرأة من قومها كن سبايا ، فلما علم قومها بذلك دخل كثير منهم فى الإسلام واستحالوا بعد العداوة أصدقاء .

* السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان ، كانت مع زوجها فى الهجرة الأولى إلى الحبشة لكنه « تنصر » ففارقته فلما علم الرسول بعث إلى النجاشى فزوجها له وكيلا عن الرسول ودخل بها بعد العودة من الحبشة ، وواضح جانب السياسة فى هذا الزواج .

* السيدة صفية بنت حيى سيدة بنى النضير وحفيدة نبى الله هارون وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فقبلت .

* السيدة **ميمونة بنت الحارث كانت أرملة وكانت شقيقة زوجة العباس عم الرسول وهما اللذان سعيا فى زواجه منها** فاستجاب تقديرا لفضلهما عليه وعلى الدعوة وقبل هذا صونا لعفاف هذه الأرملة التى كانت ما تزال فى ربيع العمر .

* السيدة مارية القبطية (هدية المقوقس عظيم القبط إلى الرسول) أم إبراهيم التى آمنت فيما بعد وكان وجودها فى بيت النبوة سببا فى حصول المودة مع القبط فى مصر ووصية الرسول المسلمين بأهلها .. وبجندها .

هكذا كان زواجه بعد الرابعة والخمسين ذا دوافع إنسانية وسياسية ، ولو كان للشهوة مكان فى ذلك لما رضى بالمسنات والأرامل ولكان له فى غيرهن طريق آخر صلوات الله عليه .

د. ابراهيم أحمد العدوى

البشارة فى سورة الروم
من وثائق المودة بين الإسلام والمسيحية

تقرر هذه الآيات المباركة عالمية الدعوة الإسلامية ، وهى مازالت فى فجر تاريخها بمكة ، حيث تظهر متابعة الجماعة الإسلامية فى مكة لأحداث العالم المحيطة بالجزيرة العربية فيما يمس الدعوة الإسلامية وطريق انتصارها لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وتتناول الآيات المباركة هذه الحقيقة الناصعة لعالمية الدعوة الإسلامية فى جانبين هامين ، هما :

أولا : موضوع البشارة فى سورة الروم ، وهو يدور حول الصراع العالمى الذى نشب عند ظهور الدعوة الإسلامية بمكة بين قوتى العالم العظميين إذ ذاك ، وهما الفرس والروم حيث كان النصر فى هذه المرحلة إلى جانب الفرس ، وذلك على نحو ما جاء فى قوله تعالى : " ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض "

ثانيا : أبعاد البشارة فى سورة الروم التى جاءت بوعد الله بنصر الروم ، واتساع هذا الوعد الإلهى بنصر المسلمين ، حيث تجلت حكمة الله البالغة التى لا تنقص الأيام من جلالها المستمر فى حياة الدعوة الإسلامية ، حيث تتم كلمة الله ونعمته على المسلمين ، وذلك على نحو ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ الم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ . سورة الروم (من ١-٧)

وترشد سورة الروم فى فاتحة آياتها (غلبت الروم فى أدنى الأرض) إلى الموضوع الذى دارت حولة البشارة التى تضمنتها آياتها المباركة ، وهو الصراع العالمى الذى نشب بين الفرس والروم ، وبلغ أشده فى بلاد الشام فى مطالع القرن السابع الميلادى ، حين جهر الرسول الكريم بالدعوة إلى الإسلام فى مكة ، وكان أكاسرة الفرس قد جاشت بنفوسهم أطماع توسعية على حساب دولة الروم حين تولى شئونها الإمبراطور هرقل سنة ٦١٠ م ، ورغبوا فى تحقيق حلمهم القديم وهو الحصول على منفذ يطل على البحر المتوسط ، تكمل به دولة فارس سيطرتها التجارية العالمية .

وزحف الفرس بجيوشهم على بلاد الشام ، " وهى أدنى الأرض " إلى الحجاز بالجزيرة العربية ، وكان سلطان الروم يسود تلك النواحى ، وما ينتشر بها من أسواق تجارية زاهرة . واستطاع الفرس سنة ٦١٤ م ، أى بعد أربعة أعوام من بعثة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) أن ينزلوا بالروم ، قادة العالم المسيحى ، هزيمة قاسية باستيلائهم على بيت المقدس ، حيث أصبحت هذه المدينة المرتبطة بأصول الديانة المسيحية فى أيدى الفرس المجوس الوثنيين ، الذين أمعنوا فى الحط من هيبة الروم أمام العالم المسيحى بنقلهم " صليب الصلبوت " الذى يرى المسيحيون أن السيد المسيح قد صلب عليه ، من بيت المقدس ، وإرساله إلى عاصمة دولتهم .

وكانت أصداء هذا الصراع العالمى بين الفرس والروم ، وما صاحبه من أحداث جسام فى بلاد الشام تتردد فى بلاد العرب ، وذلك بفضل جريان " رحلة الشتاء والصيف" لقريش وغيرها من العرب على الطريق التجارى الممتد من اليمن إلى فلسطين وسوريا ، وكانت مكة ويثرب محطتان تتردد فيهما الروايات العديدة عن مجريات الصراع العالمى بين الفرس والروم ، باعتبارهما من محطات القوافل المهمة على الطريق التجارى ، وموطن عدد كبير من تجار الشام .

وأثارت أنباء الصراع بين الفرس والروم فى بلاد الشام ، وما لقيه الروم من هزيمة على يد الفرس اهتمام أنصار الدين الإسلامى الوليد إذ ذاك بمكة ، وكذلك " ملأ قريش " من المعارضين للدعوة الإسلامية ، فكان أعداء المسلمين فى مكة يرددون الافتراءات بأن المسلمين سوف يلقون مصيراً مشابها للروم ، لأنهم مثلهم " أصحاب كتاب " وأن الفرس المجوس ، عبدة النار استطاعوا أن يذلوا الروم إتباع " كتاب مقدس "

وأشار الطبرى فى تفسيره إلى صدى الصراع بين الفرس والروم ، وهزيمة الروم قائلا : " فبلغ ذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، وهم بمكة ، فشق ذلك عليهم وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتوا ،فلقوا أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : إنكم أهل الكتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب " وغدا المسلمون فى مكة مستهدفين لحرب أعصاب شرسة ، تتطلب التذرع بالصبر .

وجاءت البشارة فى سورة الروم تحمل للمسلمين أبعاداً واسعة الآفاق ، تعلى من روحهم المعنوية ، وتبشرهم بأمرين مهمين ، وعد الله الذى لا يخلف وعده أولهما

نصر الله للروم وثانيهما نصر المسلمين وفرحهم بما وعدهم الله سبحانه وتعالى من تمكينهم من أداء رسالة دينهم الحنيف .

وبدأ وعد الله الحق يتجلى وذلك عقب نزول تلك الآيات الكريمة من سورة الروم، وما حملته من أبعاد واسعة بالبشرى بالنصر للمسلمين والروم . وذلك أن الفرس كانوا قد استبد بهم الغرور حين نزلت سورة الروم . وزحفوا على عاصمة الروم نفسها وهى القسطنطينية. مستهدفين الاستيلاء عليها . وعندئذ ثارت حمية الروم على اختلاف مشاربهم . وامتلأوا حماسة للدفاع عن كيانهم . ووقفت الكنيسة فى دولة الروم على رأس حركة التصدى للفرس تشد أزر الجميع لتحرير بيت المقدس وهو الأمر الذى أضفى على استعدادات الإمبراطور هرقل لطرد الفرس " من أدنى الأرض " ببلاد الشام، طابع الجهاد المقدس وضربت الكنيسة نفسها مثلاً عالياً على مساندتها للدولة فى حربها ضد الفرس المجوس بأن قدمت كل ما لديها من ذهب وفضة ليسكها الإمبراطور هرقل نقوداً يستفيد منها فى جهاده ووقفت الكنيسة والدولة بذلك صفا واحداً لتخليص بيت المقدس من الفرس واسترداد صليب الصليب حفاظاً على كرامة المسيحية وأهلها.

وبدأت حركات هرقل ضد الفرس وطلائع انتصاراته عليهم أيضا عقب هجرة الرسول الكريم إلى يثرب سنة ٦٢٢ م تحقيقا لوعد الله بأن الروم : " وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين " إذ سار نصر الروم على الفرس مع نصر المسلمين بعد هجرة الرسول الكريم إلى يثرب ، ففى الوقت الذى نال فيه المسلمون النصر فى غزوة بدر (٢ هـ / ٦٢٤ م) ، كان الإمبراطور هرقل قد بعث بأساطيله من القسطنطينية إلى مياه الشام، على حين زحف بجيوشه براً عبر أسيا الصغرى وقام بمناورة حربية فى جهات أسيا الصغرى المجاورة لبلاد الشام وهو الأمر الذى حمل الفرس على الانسحاب من تلك المناطق الواسعة التى كانوا يحتلونها من شمال بلاد الشام،

وعادوا إلى بلادهم سريعاً لصد الزحف المقبل الذى كان الإمبراطور هرقل يعده للهجوم على بلاد الفرس نفسها .

واستولى الإمبراطور هرقل فعلاً على مدينة " تخت سليمان "، وهى مركز من مراكز الفرس الدينية، وتقع بالشمال الغربى من فارس عند بحيرة أرومية ، حيث شفى جند الروم غلة حماسهم بتخريب معبد النار فى هذا المركز الدينى الفارسى ، انتقاماً مما سبق أن أنزله الفرس ببيت المقدس ، حين انتزعوها من قوات الروم ، وحملوا منها أيضا " صليب الصلبوت " ، وتقدم الإمبراطور هرقل على رأس جيوشه ، حتى وصل مدينة " نينوى " الفارسية على نهر دجلة سنة ٦٢٧ م ، وهناك اشتبك مع الفرس فى معركة كبرى خرج منها ظافراً ، وتابع زحفه بعدها جنوباً إلى مدينة "دستاجرد " حيث انهارت مقاومة الفرس تماماً .

وواصل الإمبراطور هرقل تقدمه ، حتى صار على مقربة من المدائن عاصمة الفرس نفسها ، وفى هذا الوقت حلت المسألة الحربية حلاً رائعاً فى صالح الروم ، وكفل لهم تحقيق النصر المظفر والكامل ، وذلك أن ثورة قامت سنة ٦٢٨ م فى المدائن ، قتلت كسرى أبرويز على يد ولده شيرويه ، وعمت الفوضى بلاد فارس ، وحالت بينها وبين مواصلة قتال الروم، وعندئذ طلب كسرى شيرويه من الإمبراطور هرقل الدخول فى مفاوضات لتسوية الأوضاع بين دولة الفرس ودولة الروم ، وقبل الإمبراطور هرقل التفاوض، وانتهى الأمر بصلح تم عقده فى إبريل سنة ٦٢٨ م، عادت بمقتضاه الحدود بين الدولتين إلى ما كانت عليه قبل انتصار الفرس كما رجعت بيت المقدس إلى الروم ، الذين غلبوا بعد " بضع سنين " ، كما جاء فى البشارة فى سورة الروم ، التى نزلت بمكة ، وتحقق : " وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

زوجات الرسول[1]

من الثابت أن الرسول ﷺ ، تزوج ثلاث عشرة امرأة ، ماتت منهن اثنتان في حياته ؛ وهما خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ﵄ ، واثنتان لم يدخل بهما ، وهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، فقد وجد بها بياضا في إبطها ، فطلقها ، وسرحها بمعروف ومتّعها ، والثانية : أميمة بنت النعمان بن شرحبيل ، وكانت من الأشقياء ، لأنها عندما دخل عليها ، قالت : « أعوذ بالله » ، فقال عليه الصلاة والسلام : « عذت بمعاذ عظيم » وطلقها وسرحها سراحا جميلا .

وتوفي ﷺ ، وعنده تسع زوجات . وكان له جاريتان ، مارية القبطية ، التي أهداها له المقوقس ؛ حاكم مصر ، فأعتقها وتزوجها ، وأنجبت له ابنه إبراهيم . وريحانة ، أعتقها ، ولحقت بأهلها .

هذا العدد من الزوجات الفضليات ، اللاتي اقترن بهن النبي ﷺ ، أخذ منه عدد من المستشرقين ، الحاقدين على الإسلام ، ذريعة للطعن في شخص الرسول الكريم ﷺ ، فاتهموه بأنه رجل شهواني - حاشا لله - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

---

(١) راجع المصادر والمراجع الآتية : سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٣٢١ وما بعدها ، وعيون الأثر جـ ٢ ص ٣٧٧ وما بعدها ، خاتم النبيين جـ ٣ ص ١٠٩٦ وما بعدها ، ومحمد ﷺ في المدينة للدكتور أحمد شلبي ص ٢٧ وما بعدها .

فزواجه ﷺ بهذا العدد كان مباحا له من الله تعالى ، وفي أواخر حياته نزل الوحي بحظر الزواج عليه ، فوق ما عنده ، فقال تعالى : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ الأحزاب ، الآية ٥٢ .

ولم يكن الدافع إلى ذلك الزواج ، بهذا العدد الكبير هو الشهوة الجامحة ، كما يدعي أعداء الإسلام ، الذين أعمى التعصب والحقد أبصارهم وبصائرهم .

فمن المعلوم أن النبي ﷺ ، قد تزوج من السيدة خديجة وهو في الخامسة والعشرين ، وكانت هي في الأربعين ، وعاشت معه حوالي خمسة وعشرين عاما ، وتوفيت ﵂ في العام العاشر من البعثة ، وكانت قد تجاوزت الخامسة والستين ، وكان هو في الخمسين من العمر ، وفي خلال عشرته لها ، لم يفكر في الزواج من غيرها ، مع أنها كانت قد كبرت ، فالمرأة فوق الخامسة والستين ، عادة ، تنعدم أو تقل رغبتها في المعاشرة الزوجية ، فلو كان ﷺ رجلا شهوانيا ، لتزوج على خديجة ، وحتى بعد وفاتها ، لم يفكر في الزواج بسرعة ، مع أنه كان في أمس الحاجة إلى زوجة تؤنسه ، وتساعده على أعباء رسالته ـ كما كانت خديجة تفعل ـ وتدبر له شؤون بيته ، فظل فترة بدون زوجة ، حتى اقترحت عليه خولة بنت حكيم ـ زوج عثمان بن مظعون ـ أن يتزوج ، وقالت له : « لم لا تتزوج من تعوضك عن خديجة بعض حنوها وعطفها ؟ » فسكت ، فقالت له : « هل تقبل أن أخطب لك زوجة أخرى ؟ » فقال لها : « لا بأس ، إنكن معشر النساء أرفق بذلك » ، فقالت خولة : « إن أردت بكرا ، فعائشة بنت أبي بكر ، وإن أردت ثيبًا ، فسودة بنت زمعة » فوافق على الزواج من سودة أولا ، لأنها كانت تقريبا في سن خديجة ـ يعني تجاوزت الخامسة والستين ، ومعنى هذا أنه تزوجها للسكن والعشرة [1] ، وليس

---

(١) ولرعاية بناته ، فكانت فاطمة لا تزال صغيرة في حاجة إلى حنان الأم وعطفها .

للشهوة . ثم خطب عائشة ، وتزوجها بعد الهجرة بعامين تقريبا ، وقد لغط الجاهلون ، وقالوا تزوجها وهي طفلة في التاسعة من عمرها ، وهذا كذب ، لأن خولة بنت حكيم عندما عرضتها عليه بعد وفاة خديجة ـ وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات ـ كانت تعرف أن عائشة تصلح للخطبة والزواج ـ وهي امرأة عاقلة ورشيدة وسديدة الرأي ، وإلا لما فوضها النبي في البحث له عن زوجة ـ ومع ذلك لم يتم الزواج إلا بعد خمسة أعوام من الخطبة ، ثم إن ابن إسحاق ، وهو من أقدم كتاب السيرة النبوية ، وأوثقهم ، يذكر اسم عائشة في السابقين الأولين إلى الإسلام ، مع اختها أسماء [1] ، ومعنى هذا أن عائشة ﵂ كانت تعي وتعقل عند بعثة النبي ﷺ ، ومعنى ذلك مرة أخرى أنها عندما بنى بها كانت كبيرة ، يقترب سنها من العشرين عاما ، على افتراض أن سنها عند البعثة كان خمسة أو ستة أعوام ، والزواج تم بعد البعثة بخمسة عشر عاما ، لذلك لا أدري من أين جاء من قال إنها كانت في التاسعة عند الزواج بهذا الخبر ؟ فهل تنقطع ألسنة الحاقدين على الإسلام بعد أن يعرفوا الحقيقة من أوثق مصادرها ؟

الزوجة الثالثة : زينب بنت خزيمة ـ التي لقِّبت بأم المساكين لكثرة عطفها وبرها بهم ـ وكانت زوجة لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وهو من شهداء بدر ، وكانت ذات عيال ، فتزوجها النبي ﷺ ليعولها ويعول أولادها ، ويخفف حزنها ، ولم تعش طويلا ، فقد ماتت بعد الزواج بفترة قصيرة .

الزوجة الرابعة : حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵄ ، وكانت قد ترملت بوفاة زوجها خنيس بن خزامة ، وكان عمر ﵁ قلقا عليها ، ولذلك عرضها على أبي بكر ، ليتزوجها ، فاعتذر ، ثم عرضها على عثمان بن عفان ، فاعتذر ، وعرض عمر ابنته على أصدقائه للزواج منها ، يعتبر دليلا على عظمته ورجولته ، وليس عيبا فيه ، فلما اعتذرا ، عتب عليهما ، وشكاهما للرسول ،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٩ .

فقال له الرسول : « يتزوج حفصة من هو خير لها من أبي بكر وعثمان » ففهم عمر قصد الرسول ، وكان في غاية السعادة ، لمصاهرته لخير خلق الله أجمعين .

الزوجة الخامسة : زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وقد تزوجها بأمر من الله تعالى ، فقد قال له : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴾ سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ ، وقد بينا فيما سبق من هذه الدراسة الحكمة من زواجه بزينب رضي الله عنها .

الزوجة السادسة : أم سلمة ، واسمها هند بنت أبي أمية المخزومي ، وقد استشهد زوجها أبو سلمة ؛ متأثرا بالجروح التي أصابته في غزوة أحد ، فتزوجها الرسول ﷺ .

الزوجة السابعة : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار زعيم بني المصطلق ، وقد سبق الحديث عنها ، وذكرنا قول السيدة عائشة عنها : « ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة من برة - جويرية - » لأن المسلمين أعتقوهم ، إكراما لمصاهرتهم للرسول ، وقد أسلم أبوها وقومها عقب ذلك .

الزوجة الثامنة : صفية بنت حيي بن أخطب ، زعيم يهود بني النضير ، وكانت قد أسرت في فتح خيبر ، ووقعت في سهم النبي ، فسألها عن رأيها في الإسلام ، فقالت : « يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك ، قبل أن تدعوني إلى ذلك ، وقد كان أبي يعرف صدق دعوتك ، ولكن العصبية ذهبت به ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله » ، فسألها إن كانت تقبل الزواج منه ، فرحبت بذلك ، وكانت صفية غاية في الإخلاص للإسلام ، ولرسول الإسلام ، كما كانت شريفة عاقلة ، ذات حسب وجمال ودين [1]

---

(١) د. أحمد شلبي ، محمد في المدينة ص ٣٦ .

أم حبيبة ، رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، كانت هي الزوجة التاسعة ، وكانت زوجة لعبيد الله بن جحش ، وقد هاجرت معه إلى الحبشة ، ولكنه تنصّر ومات هناك نصرانيا ، ففارقته بعد تنصره ، فلما علم الرسول بذلك ، خطبها عن طريق نجاشي الحبشة ، فسعدت بذلك ، وتم العقد هناك ، وقد أرسل الرسول ، عمرو بن أمية الضميري ، ليأتي بها وبقية المسلمين من الحبشة ، ويروى أن الذي دفع المهر نيابة عن النبي هو النجاشي نفسه ، وقدره أربعمائة دينار ، وأقام حفلا بهذه المناسبة ، التي اقترنت بمناسبة أخرى سعيدة ، وهي عودة المسلمين من الحبشة إلى ديارهم .

وقد فرح أبو سفيان ـ الذي كان لا يزال مشركا ـ بزواج ابنته من الرسول ﷺ ، وقال : « هو الفحل لا يقدح أنفه » .

ميمونة بنت الحارث الهلالية ، كان ترتيبها العاشرة والأخيرة بين زوجات الرسول ـ بعد خديجة ـ وقد تزوجها في عمرةالقضاء ، وكانت أختا لأم الفضل ، زوج عمه العباس بن عبد المطلب ، وهما اللذان اقترحا عليه زواجها ، لتقوية روابطه بقبيلتها ، بني هلال .

هؤلاء هن أزواج الرسول ﷺ ، وقد رأيت أنهن كلهن ـ عدى خديجة ـ تزوجهن بعد أن تجاوز الخمسين ، وبعضهن بعد أن تجاوز الستين ـ وهي سن متقدمة نسبيا ، يعني الرجل أي رجل مهما بلغت قوة رغبته في النساء ، فلن يحتاج إلى مثل هذا العدد ، فتعدد زوجات الرسول على هذا النحو له أسباب وحكم كثيرة .

منها تقوية الروابط بينه وبين كبار أصحابه ، مثل أبي بكر وعمر ـ كما قوى رابطته بعثمان حين زوجه بنتيه ، رقية وأم كلثوم ، وزوج عليا من فاطمة ـ وبينه وبين كثير من قبائل العرب الكبيرة ، مثل بني هلال ، قبيلة ميمونة بنت

الحارث ، وليس في هذا أي عيب ، فتقوية الروابط الإنسانية بين الناس من أهداف الإسلام ، والزواج ، كان ولا يزال ، عند معظم الأمم ، وخاصة الأمة العربية ، من أهم أسباب ذلك الترابط ، ولذلك أصهر النبي إلى قبائل كثيرة . وهذا كان يساعده في تأليف قلوب العرب ، الذين يقيمون وزنا كبيرا للمصاهرات ، ومن حكم التعدد إيواء وتكريم الضعيفات من أزواج الشهداء ، مثل زينب بنت خزيمة ، وأم سلمة .

ومنها أن هذا العدد من أزواج الرسول ﷺ ، تولين تعليم نساء المؤمنين أمور دينهن ، فعندما كان الرسول موجودا ، كان النساء يذهبن إليه يسألنه ويتعلمن منه ، وحتى في حياته كن أحيانا يسألن أزواجه عن أمور الدين . لكن بعد وفاته ما كن يغشين مجالس الخلفاء والصحابة ، بل كن يذهبن إلى أزواج النبي ، مثل عائشة وحفصة وأم سلمة ، خصوصا وأن بعضهن عمّرن بعد وفاة الرسول طويلا . فعائشة رضي الله عنها ، توفيت عام ٥٨ هـ ، وجويرة بنت الحارث توفيت سنة ٥٦ هـ ، وأم حبيبة سنة ٤٤ هـ ، وميمونة بنت الحارث سنة ٦١ هـ ، وكانت آخرهن وفاة أم سلمة رضي الله عنها ، فقد ماتت ـ كما يقول الذهبي ـ بعد إستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، سنة ٦١ هـ ـ فقد حزنت عليه كثيرا ، ولم تلبث بعده إلا يسيرا ، وانتقلت إلى رحمة الله [1] .

كان أزواج النبي إذن مصدرا هاما من مصادر الأحكام الفقهية ، خاصة التي تتعلق بأمور النساء ، ولقد روي أن النبي ﷺ قال عن عائشة : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

فتعدد أزواجه عليه الصلاة والسلام ، لم يكن الدافع إليه الشهوة الجنسية ، وإنما كانت له دوافع أخرى في غاية النبل والعظمة .

---

(١) الذهبي .. سير أعلام النبلاء جـ ٢ ص ٢٠٢ .

ثم هناك معنى آخر عظيم نستطيع أن نتلمسه من هذا العدد الكبير من الزوجات في حياة النبي ، وهو أنه كان أعظم العظماء لا في أداء رسالته ولا في بناء دولته ومجتمعه فحسب ، بل كان عظيما في بيوته ، زوجا وأبا ، ومن المألوف في حياة العظماء ، أن الرجل العظيم في الحياة العامة ، قلما يكون عظيما في بيته ، ولكن الرسول ، كان أعظم العظماء في الحياة العامة ، وفي تسعة بيوت في وقت واحد ، ومع تسع زوجات ، من بيوت وقبائل مختلفة ، بل من أجناس مختلفة ، وكلهن مقدرات لعظمته ، لأن حياته معهن جميعا ، كانت مثال الطهر والبر والوفاء والحنو والعطف والوضوح ، ومعظم إن لم يكن كل تفاصيل تلك الحياة الشريفة المثالية قد عرفها للناس ، عن طريق هذا العدد من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فلم يجد الناس فيها ، إلا المثل الأعلى ، والكمال الإنساني في سموه ، والسلوك الذي تتطلع إليه النفوس الطاهرة .

ورغم أعباء الرسالة ، ومسئوليات الجهاد وبناء الدولة والمجتمع ، فقد كان يعطي بيوته وأهله حقهم من الرعاية والعناية ، وكان يجد من الوقت ما يكفي ، لا لأداء واجبه نحوهن فحسب ، بل لملاطفتهن ، ومعاونتهن في أمور المنازل ، بل كان يخدم نفسه ـ ليخفف عنهن أعباء العمل ـ فقد كان يخيط ثيابه ، ويخصف نعله ، أليس هو القائل : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » ؟ .

د. عبد الرحمن أحمد سالم

حديث الإفك

**مثلت غزوة الخندق أو الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة (٦٢٧م) أقصي ما استطاع مشركو قريش ومن ناصرهم من العرب واليهود أن يصلوا إليه في كيدهم للدولة الإسلامية . وقد كان فشل هذه الغزوة ضربة قاصمة لخططات هؤلاء ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ حين قال في نهاية هذه الغزوة: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا» (١) فكان الأمر كذلك حتى فتح الله على المسلمين مكة .

ولكن الدولة الناشئة بالمدينة كان يواجهها كيد من نوع آخر هو كيد المنافقين منذ تأسست في العام الأول للهجرة .. ولقد كان المنافقون ـ رغم حقدهم على الدولة الإسلامية وعدائهم لها ـ لا يستطيعون الجهر بذلك ، لأنهم لو فعلوا لما وجدوا لهم مكانا بين صفوف المجتمع الإسلامي في المدينة .. ومن هنا فإنهم سلكوا سبلا ملتوية وصولا إلي أهدافهم الرامية إلي زعزعة كيان الأمة والنيل من تماسكها .

من المفهوم ـ إذن ـ أن تمثل انتصارات المسلمين قذى في عيون هؤلاء . ولا شك ـ

---

(١) تاريخ الطبري ، طبعة دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ج ٢ ، ص ٥٩٣.

في ضوء ذلك أن يثير اندحار الأحزاب في غزوة الخندق كل بواعث الضيق والأُسي في نفوس المنافقين ، وأن يحاولوا بكل سبيل أن يجدوا متنفسا لهذا الضيق والأُسي .. وقد وجدوا هذا المتنفس في بعض ما أحاط بغزوة بني المصطلق من أحداث .

وحديث هذه الغزوة ـ باختصار ـ أن الرسول ﷺ بلغه بعد انتصاره في غزوة الخندق أن قبيلة من العرب تُعرف ببني المصطلق ـ وهم من خزاعة ـ يعدون العدة لحربه بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار .. فخرج الرسول ﷺ للقائهم في شعبان سنة ٦هـ واشتبك معهم عند ماء يقال له بئر (المُرَيْسيع) ناحية قُدَيْدٍ بالقرب من مكة ولهذا تعرف هذه الغزوة أحيانا بغزوة المريسيع .(١) وقد أنزل الرسول ببني المصطلق هزيمة فادحة وغنم المسلمون أموالهم وذراريهم . وكان من بين السَّبي الذي وقع في يد المسلمين في تلك الغزوة جويرية بنت سيد بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار وهي التي أصبحت بعد ذلك إحدى أمهات المؤمنين .

حدث أمران في هذه الغزوة تجلى فيهما مكر المنافقين وتآمرهم على الإسلام وجماعته .. أما أولهما فيتعلق بنزاع نشب على الماء (بعد انتهاء الغزوة) بين أجير لعمر بن الخطاب اسمه جهجاه بن مسعود الغفاري وبين حليف لبني عوف ابن الخزرج الأنصاريين اسمه سنان بن وبر الجُهَني ، فاستصرخ الجهني الأنصار واستصرخ الغفاري المهاجرين ، فعلق زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ سلول ـ وهو من الخزرج ـ على هذا الموقف بقوله : أو قد فعلوها ؟! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا !

---

(١) تاريخ الطبري ، نفسه ،ج ٢، ص ٥٩٣.

والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش (١) إلا كما قال الأول : "سمن كلبك يأكلك" أما والله لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (٢) وقد عني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ ثم أخذ يشجع الأنصار على أن يتراجعوا عن دعمهم المادي والمعنوي للمهاجرين حتى ينفضُّوا من حول محمد(٣). وعندما بلغ الرسول ﷺ ما قاله عبد الله ابن أبي استشار في أمره بعض أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ومن بينهم أُسَيْد ابن حُضَيْر أحد وجهاء الأوس ، فكان مما قاله له أسيد : فأنت يا رسول الله -والله- تخرجه منها إن شئت ، وهو -والله- الذليل وأنت العزيز .. ثم قال: يا رسول الله ، ارفق به ، فو الله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليري أن قد استلبته ملكا (٤) . هذا ، وقد استطاع الرسول ﷺ بحكمته أن يحتوي هذا الموقف ، وآثر ألا ينفذ مشورة عمر بن الخطاب الذي اقترح على الرسول أن يأمر بقتل عبد الله بن أُبي بن سلول .. ونزلت في هذا الموقف سورة المنافقين تكشف أساليب هؤلاء القوم وتحذّر الرسول منهم : (هم العدو فاحذرهم) (المنافقون ٤) . وقد قصت هذه السورة بعض ما قاله عبد الله بن أبي في أسلوب يفيض تثبيتا للمؤمنين : (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، ولله خزائن السماوات

---

(١) جلابيب قريش / عبارة كان يستخدمها المنافقون في المدينة لوصف المهاجرين .. ويقصدون بها إلصاق الذلة بهم .

(٢) سيرة ابن هشام ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الهداية ، القاهرة ،دون تاريخ ،ج ٣، ص ٣٣٤.

(٣) الزمخشري : الكشاف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٧ ،ج٢، ص٥٤٢.

(٤) سيرة ابن هشام ،ج ٣، ص ٣٣٥-٣٣٦.

والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (المنافقون ٧-٨) ...

أما الأمر الثاني الذي ارتبط بغزوة بني المصطلق وتولي كبره أيضا شيخ المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فقد كان أبعد خطورة وأبلغ تأثيرا لأنه دار حول قذف إحدى زوجات الرسول ﷺ بالفاحشة زورا وبهتانا ، وقذف أحد كبار الصحابة بمثل ذلك ، وهو الأمر الذي انطوي على تهديد خطير لمتانة البنيان الأخلاقي والاجتماعي لهذا الكيان الذي أرسي الرسول ﷺ دعائمه على أساس راسخ من الطهر والتقوى .

وخلاصة حديث الإفك أن الرسول اصطحب من بين أزواجه في غزوة بني المصطلق عائشة وأم سلمة .. فلما انقضت الغزوة وانصرف المسلمون راجعين إلى المدينة حطوا رحالهم في أحد المواضع ليستجموا .. وفى هذه الأثناء ذهبت عائشة لبعض حاجتها ، فلما عادت اكتشفت ضياع عقدها فرجعت تلتمسه فوجدته في الموضع الذي ظنت أنه فيه .. ثم عادت مرة أخرى لتكتشف أن المسلمين رحلوا من ذلك المكان دون أن يفطنوا أن عائشة ليست في هودجها ، لأن النساء في ذلك الوقت كما تعبر عائشة نفسها كنّ خفافا لم يثقلهن اللحم ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه (١) . وقد قررت عائشة أن تظل مكانها على أمل أن يعود المسلمون لأخذها عندما يفتقدها الرسول ﷺ .. وكان الصحابي صفوان بن

(١) صحيح البخاري ، طبعة الشعب ، القاهرة ، ج٥ ، ص ١٤٩.

المعطل السلمي على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به وقد كان هذا شأنه ، فقد كان يكون على ساقية جيش رسول الله ﷺ كما يقول ابن الأثير (١) . فلما وصل صفوان إلي موضع عائشة استرجع وأناخ بعيره ، وكانت عائشة قد غلبتها عينها فنامت ، وهي تروي ما حدث من صفوان فتقول : فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها ، فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة (٢) . وهنا سنحت الفرصة للمنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول ليوجهوا إلي الكيان الإسلامي طعنة أخرى غادرة بعد أن أجهض الرسول ﷺ بحكمته أهداف الطعنة السابقة في نفس الغزوة .. فعندما مر صفوان بن المعطل ببعيره وعليه عائشة رضي الله عنها أمام عبد الله بن أبيّ سأل عبد الله من معه مستنكرا:من هذه ؟ قالوا : عائشة رضي الله عنها .. قال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ! وأضاف قائلا : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ! وقد أراد عبد الله بن أبي ابن سلول أن يحدث شرخا في جدار المجتمع الإسلامي فنشر إشاعته الخبيثة بين جنبات المدينة فتلقفها أهل النفاق وروّجوها ، ووقف منها

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، طبعة الشعب ، القاهرة ، ج٣، ص ٣٠.

(٢) صحيح البخاري ،ج٥، ص ١٤٩.

(٣) الزمخشري : تفسير الكشاف ،ج ٣،ص ٢١٧.

راسخون العقيدة موقف الرفض المطلق ، وكاد بعض المسلمين أن تنزلق أقدامهم ثم تبين لهم الحق فتابوا وأنابوا .

لقد نجح عبد الله بن أبي مؤقتا في تعريض المسلمين لمحنة قاسية بما قذفهم به عائشة في عرضها ، وهي زوج الرسول ﷺ وأم المؤمنين وبنت الصديق .. وقد وصف القرآن الكريم هذا القذف بالإفك ، والإفك ـ كما يقول الزمخشري ـ (أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء) .. كما وصفه بالبهتان العظيم في قوله سبحانه : (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم)(النور ١٦) . وسر التوبيخ القاسي في هذه الآية أن الكثيرين تساهلوا في الحديث عن هذا الإفك مما كان سببا في انتشاره وذيوعه ، وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له : ما وراءك ؟ فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر ، فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه [١] . فذلك ما يشير إليه قوله : (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (النور ١٥) .

لقد أشتد ألم الرسول ﷺ لما حدث ، وهذا أمر مفهوم ، فقد تطاول بعض الصغار على شرف بيته وجعلوا من إحدى زوجاته حديث مجتمع المدينة ، ولم يكن ألم الرسول ﷺ شكا منه في عائشة ، وقد نفي هذا الشك نفيا قاطعا حين قال ، في إشارة إلي عبد الله بن أبي : يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي .. والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي [٢] .

---

(١) الزمخشري : الكشاف ،ج٣، ص ٢٢

(٢) صحيح البخاري ،ج٥، ص ١٥١.

المنهج السماوي الكامل إلي الخير ومن حق البشرية كذلك أن يترك الناس بعد وصول الدعوة إليهم أحرارا في اعتناق هذا الدين ، لا تصدهم ولاتمنعهم عنه عقبة أو سلطة ومن اعتنق هذا الدين لا يفتن ولا يصد عنه . ومن هنا أصبح من واجب المسلمين الدفاع عن هؤلاء بالقوة ضد من يتعرض لهم بالأذى ليفتنهم ، وذلك ضمانا لحرية العقيدة وإقرارا لمنهج الله في الحياة .

فالجهاد إذن لتحطيم كل قوة معتدية تعترض طريق الدعوة الإسلامية وإبلاغها للناس في حرية تامة بحيث لا يخش أن يدخل في هذا الدين من يريد اعتناقه ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله .. فالجهاد في الإسلام شرع حماية للبشرية كلها أن تحرم من هذا الخير .

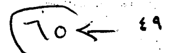
فالجهاد هو القتال في سبيل الله (١) لإعلاء كلمة الله لا لسبب دنيوي آخر .. قال تعالي : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله . والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) سورة النساء ٧٦(٢) .

قبيل معركة القادسية سأل القائد الفارسي رستم كلا من ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن ثم المغيرة بن شعبة .. سأل كلا منهم على حدة في ثلاثة أيام متتالية ,. سألهم ما الذي جاء بكم ؟فكان جوابهم (أن الله بعثنا لنخرج عبادة من عبادة العباد إلي عبادة الله ؛ ومن ضيق الدنيا إلي سعتها ومن جور الأديان إلي

---

(١) موسوعه فقه عبد الله بن مسعود ص٢٠٢.

(٢) الصابوني : صفوة التفاسير ، مجلد١ ، ص ٢٩٠.



حق عائشة رضي الله عنها .. وكتب قصيدة يعبّر فيها عن ذلك ، ومنها يقول :

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبيَّ الهدي والمكرمات الفواضل (١)

وقد عفا عنه خير الناس الرسول ﷺ وعندما شكا إليه حسان ما صنع به صفوان قال له : (أحسنْ يا حسان في الذي أصابك !) قال : هي لك يا رسول الله (٢) .

***

يتضح لنا مما سبق أن الملابسات التي أحاطت بحديث الإفك تشرح بواعثه الحقيقية ، فقد تزعم هذا الحديث رأس النفاق وهو عبد الله بن أبيّ آبن سلول ، وهو الذي وصفه القرآن الكريم بأنه هو الذي تولي كبْره ، وذلك في قوله تعالي : (والذي تولي كبره منهم له عذاب عظيم) (النور ١١) وقد ذكرنا فيما مضي أن عبد الله بن أبي كان يتطلع إلي الملك في الوقت الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة ، فحالت هذه الهجرة دون تحقيق ما كان يتطلع إليه . ولكننا نعتقد أن عبد الله بن أبي كان يترقب انهيار دولة الإسلام في المدينة ، وكان يظن أن قريشا

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، بشرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ٣٧٧.

*** والحصان الرزان العفيفة الملازمة للوقار . ما تزن : أي ما تتهم . وتصبح غرثي من لحوم الغوافل : أي لا تعتدي على أعراض العفيفات ولا تغتابهن .

(٢) تاريخ الطبري : بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، ج٢، ص ٦١٩.

ومن حالفها من اليهود والعرب سوف ينجحون في القضاء على الإسلام .. فلما انتصر المسلمون انتصارا ساحقا في الخندق .. اشتعلت في صدره نيران الحقد والكراهية .. وكانت غزوة بني المصطلق أو (المريسيع) التي حدثت بعد الخندق بقليل مجالا حاول فيه أن يطلق العنان لنيران الحقد هذه وأن يفتت كيان المجتمع الإسلامي .. وقد فشلت محاولته الأولى التي أشرنا إليها حين حرض الأنصار على الثورة على المهاجرين وقال ما ذكرته الآية الكريمة : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) .. ثم لجأ بعد ذلك بقليل - في أواخر هذه الغزوة - إلي محاولة إشعال نيران فتنة أكثر جموحا ، بل إنه كاد أن ينجح في إثارة روح العصبية الجاهلية بين الأوس والخزرج لولا أن الرسولﷺ عالج الموقف بحكمته المعهودة .. فقد ذكرنا فيما مضى أن الرسول ﷺ قال للمسلمين بعد انتشار حديث الإفك : (ومن يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي) وقد كان يقصد بالطبع عبد الله بن أبي بن سلول .. ونضيف هنا أن نزاعا حاميا ثار بين الأوس والخزرج عندما أبدي أحد زعماء الأوس استعداده لقتل هذا الرجل ، فقال سعد بن عبادة : والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك عرفت أنه من الخزرج .. فقام آخر من وجهاء الأوس وهو أسيد ابن حضير يرد على سعد بن عبادة ويقول : لنقتلنه وأنفك راغم ! فإنك منافق تجادل عن المنافقين . والله لو نعلم ما يهوي رسول الله من ذلك في رهطي الأدنَيْن ما رام رسول الله مكانه حتى آتيه برأسه .. ولكن لا أدري ما يهوي رسول الله .. فقال سعد بن عبادة : تأبون يا آل أوس إلا أن تأخذونا بذُحُول كانت في الجاهلية (وهي الثارات والدماء في الجاهلية) . والله ما لكم بذكرها حاجة وإنكم لتعرفون لمن الغلبة منها ، وقد محا الله بالإسلام ذلك

كله .. فقال أسيد بن حضير : قد رأيت موطننا يوم بُعاث ! .. ثم تغالظوا ، وكـادت أن تنشـب بـين الفـريقين فتـنة طاحـنة لـولا أن الرسـول ﷺ هدّأهـم وخفّضهم حتى انصرفوا (١) .

لقـد أراد عبد الله بن أبي أن يُحْيِى ـ بفتنته هذه ـ ما مات من روح الجاهلية وكان يعلم حق العلم أنه لو نجح في ذلك لقضي على هذا الدين ودولته ، ولكن حيل بيـنه وبـين مـا يشـتهي بفضـل توجـيهات الإسـلام الصادقة وبفضل تدارك المسلمين لحقـيقة مـا يريد ، واكتسب المسلمون من هذه المحنة آدابا عظيمة وإرشادات إلهية سـامية مـا زالـت وستظل توجه المجتمع الإسلامي عبر الأزمان والأجيال ، وهذا ما عـبرت عـنه الآيـة الكـريمة في قوله تعالي : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) (النور ١١) **صدق الله العظيم** .

---

(١) الواقدي : المغازي ، ج٢ ،ص ٤٣١-٤٣٢.

د. ابراهيم حسن زعبل

هل الإسلام دين حب من أجل الإنسان أم دين إرهاب ؟

الإسلام دين الله تعالي الذي شرعه وأوجبه على الإنسان الذي جعله الله جل شانه خليفة في أرضه (إني جاعل في الأرض خليفة) (١)، وأخبره (إن الدين عند الله الإسلام) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) (٢) وهذا الدين الإسلامي هو الذي يحقق للإنسان باتباعه السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة ويتعهده بالتربية الفاضلة من مولده والرعاية الكريمة طوال حياته .. والله تعالي كرم الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا كما جاء في قوله عز وجل (ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (٣) فشرع سبحانه في الإسلام كل ما يصلح الإنسان ويعينه ويجعله مصدرا للخير والنفع والحب والسلام .. فأمره بالمعروف في شتى صوره ونهاه عن المنكر بكل أنواعه ليرتفع بالإنسان المؤمن إلي مستوي الخلافة وليملأ أرجاء المعمورة به سعادة وجمالا وأمنا وحبا وسلاما والله تعالي خلق الناس من ذكر وأنثي وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا وأرسل رسله هداة مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم وحيه بكتبه السماوية لتكون دستورا إلاهيا دائما أمام عباده ليسيروا وفق تعاليمه من شعائر دينية ويجتنبون ...

---

(١) البقرة ٣٠ (٢) آل عمران ٨٥ (٣) الإسراء ٧٠

نواهيه ويؤدون ما فرضه الله تعالي عليهم من شعائر دينية تزكية لنفوسهم وتقويما لسلوكهم وبلوغا لرضي ربهم عليهم وجعل مجال التفاضل بين العباد أمام الله عز وجل هو التقوى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)(1). فتقوي الله تعالي هي الميزان الحق الذي تقدر به جميع أعمال العباد وأقوالهم ونواياهم ومشاعرهم وبهذا تسقط جميع الموازين التي يتعلق بها بعض البشر مثل الجنس واللون أو اللغة أو الثراء أو الجاه أو السلطة أو المهارة العقلية أو اليدوية لأن الكريم هو الكريم عند الله تعالي بتقواه ..

والحقيقة أن تقوي العبد لله تعالي هي التي ترتفع بالعبد إلي تحقيق الغاية المعينة والوظيفة الأساسية لخلق الله تعالي له واستخلافه في الأرض كما حددها جل شأنه في قوله تعالي (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون . ما أُريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(2).

فالوظيفة الحق [illegible] للجن والإنس [illegible] الوجود هي العبادة لله تعالي وحده وتتحقق هذه العبودية من العبد لله المعبود الواحد جل شأنه .. بمعني أن يكون هناك عبد ورب .. عبد مخلوق يَعْبد ورب خالق يُعْبد .. وتمضي حياة العبد كلها علي أساس الالتزام التام بهذه العبودية الخالصة الصادقة لله تعالي .. علي أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر فالله سبحانه جل شأنه لم يكلف الجن والإنس أن يقضوا حياتهم في إقامة الشعائر وحدها وإنما كلفهم سبحانه بأنواع أخري من النشاط تستغرق معظم حياتهم وقد لا نعرف

---

(1) الحجرات ١٣ (2) الذاريات ٥٦،٥٧،٥٨

نحـن ألوان النشاط التي كلفها الله تعالي للجن .. ولكن نعرف ألوان النشاط المطلوبـة مـن الإنسـان والتكلف بحكـم خلافـته في الأرض بـه مـثل إعمـار الأرض واستخراج ذخائرها ومكنوناتها والانتفاع بطاقاتها وقواها لتحقيق مشيئة الله عز وجل في تنمية الحياة وترقيتها في ظل الالتزام الكامل بشريعة الله تعالي والسير على منهج الله الذي يتفق مع الناموس الكوني العام .. فيتوجه العبد إلي الله تعالي بكل حركة في الضـمير والجـوارح وفـي الحياة عامة بحيث يكون الشعور المصاحب له هو التعبد الخـالص لله وحـده جل شأنه .. وبهذا يتحقق معني العبادة ويصبح العمل كالشعائر والشعائر كعمارة الأرض وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله والجهاد في سبيل الله ~~والجهاد في سبيل الله~~ كالصبر على الشدائد والرضي بقضاء الله وقدره فكل هذا عبادة تؤكد العبودية الكاملة من العبد لله تعالي المعبود .

وبهـذا يصبح العبد فاراً إلي الله وثيق الصلة به تلبيةً لأمره تعالي (ففروا إلي الله إنـي لكم منه نذيـر مبين) (١) وتسـقط جميع الرايات وتتواري جميع أسباب النزاع والخصـومات وتتلاشـي جميع القيم المادية التي يتكالب الناس عليها .. فلا رايـة غير راية الخالق المعبود ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا تناصر إلا على الحق والعدل ولا تعاون إلا على البر والتقوى . فالإسلام دين الله تعالي لعباده يرفض كـل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص أو للاستغلال وفتح الأسواق أو للقهر والإذلال لفرض سيادة وطن على وطن أو تحكم قوم في قوم أو جنس في جنس أو فئة في فئة .

إنمـا الحرب في الإسلام جهاد في سبيل الله تعالي لتسود ألوهية الله عز وجل

---

(١) الذاريات ٥٠

وسلطانه وحاكميته حماية وصونا لحرية الإنسان وحفاظا على كرامته وعرضه وعزته وحرمة وطنه والإسلام ليس إعلانا لتحرير جنس من البشر دون جنس أو رسالة خاصة بقومية دون قومية أو عصر دون عصر .. بل إن موضوع الإسلام هو الإنسان (نوع الإنسان) وميدانه الأرض كل الأرض وزمانه كل الزمان حتى قيام الساعة ..

فالله سبحانه وتعالي ليس ربا لجنس من الناس دون جنس بل هو جل شأنه خالق الكون رب الوجود رب العالمين لا إله غيره ولا رب سواه أرسل رسله بالهدي ودين الحق لينقذوا البشرية من العبودية لغير الله ويردوهم إلي عبادة الله الواحد الأحد بدعوة على أسس وقواعد حددها الله تعالي في القرآن الكريم بقوله جل شأنه (ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [1] فرسم الله تعالي للرسول ﷺ وللدعاه من بعده منهج ودستور الدعوة إلي الإسلام وهو كما نصت الآية الكريمة ما يلي :

- الدعوة هي دعوة إلي الله سبحانه وتعالي لا لشخص ولا لقوم ولا لجنس إنما هي (ادع إلي سبيل ربك) .

- الحكمة وهي النظر في أحوال المخاطبين ومراعاة ظروفهم . والقدر المناسب الذي [illegible] لهم في كل مرة حتى لا يقل عليهم ولا يشق .. ويحسن اختيار الطريقة

---

(1) النحل ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨

التي يخاطبهم بها تبعا لمقتضيات الأحوال فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة والاعتدال

- الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب .. فلا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي إلى القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بالخير .

- وجادلهم بالتي هي أحسن فلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح حتى يطمئن المدعوّ إلي الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل بل يدرك أن الهدف هو الإقناع والوصول إلي الحق لأن النفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة فالجدل بالحسنى يشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كبيرة وأن الدعوة خالصة وحق لصالح المدعوّ ..

- هذا هو منهج الدعوة إلي الله تبارك وتعالي ودستورها مادام الأمر في دائرة الدعوة إلي الإسلام باللسان وإثبات الدليل والبرهان والحجة .. أما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة إلي الإسلام فإن الموقف يتغير فالاعتداء عمل مادي عدواني يُدفع بمثله (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم) (١) وقوله تعالي (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم) (٢) فالدفع عن الدعوة بالقصد والاعتدال يحفظ للدعوة عزتها وكرامتها فلا تهون في نفوس الناس لأن الدعوة

---

(١) البقرة ١٩٤ (٢) النحل ١٢٦

الذليلة المهانة لا يعتنقها أحد . ولا يثق أنها دعوة إلي سبيل الله عز وجل والمؤمنون بالله تعالي لا يقبلون الضيم وهم دعاة إلي الله (ولله العزة ولرسوله والمؤمنين) [1] لأنهم أمناء على إقامة الحق في هذه الأرض وتحقيق العدل بين الناس .. وقيادة البشرية إلي الطريق القويم فكيف ينهضون بهذا كله وهم يعاقبون فلا يعاقبون ويُعتدي عليهم فلا يردون ؟

- ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل فإن القرآن الكريم يدعو إلي الصبر والعفو وذلك حين يكون المسلمون أقوياء قادرين علي دفع الشر ووقف العدوان وفي الحالات التي يكون العفو فيها والصبر على احتمال الأذى أكرم أثرًا وأكثر فائدة للدعوة .. وكان من مصلحة الدعوة أن تتحلي بالصبر والعفو .. إما إذا كان العفو والصبر يهينان الدعوة إلي دين الله تعالي ويُرخصانها فالأولى عندئذ (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم) ..

- ولما كان الصبر ضروريا للداعي إلي سبيل الله بحيث يكون خلقا كريما يمده بطاقة تعينه على الوصول لهدفه ودائما الصبر يحتاج إلي مقاومة للانفعالات وضبط للعواطف فإن القرآن يصل الصبر بالله تعالي ويزين عقباه للداعين (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) [2]

- وتتجلي رحمة الإسلام والداعي إليه فيما أنزل الله الرحمن الرحيم على محمد ﷺ رسول الإسلام (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) [3] فيأمر الله سبحانه وتعالي نبيه ﷺ

---

(1) المنافقون ٨ (2) النحل ١٢٦، ١٢٧ (3) التوبة ٦

وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم لإصرارهم على الشرك ومحاربتهم لدين الله (استجارك) أي طلب الأمان منك وأن تجيره مما يخاف (فأجره) فأجبه إلي طلبه وأمّنه مما يخاف حتى يسمع كلام الله تقرؤه عليه وتذكر له أمر الإسلام لتؤدي أمانة الدعوة وتقيم عليه الحجة (ثم أبلغه مأمنه) بعد ذلك وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلي بلاده وداره (وذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أن الإسلام أمان لمثل هؤلاء المستجيرين به .. فالإسلام إعلام وتعليم لمن لا يعلمون وإجارة وأمان لمن يستجيرون به حتى لأعدائه الذين شهروا عليه السيف وعاندوه ..

ومن أمثلة الرحمة الواضحة البارزة قول الله تعالي في قرآنه الكريم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (١) يوجه الله عز وجل المسلمين إلي مودة المخالفين لهم في العقيدة الذين يعيشون في بلاد الإسلام ورعاية المحتاجين منهم بتيسير الحياة لهم وإعانة العاجز عن العمل منهم .. وفى هذا يروي التاريخ أن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أمر أن ترفع الجزية عن كل ذمي لا يدين بالإسلام ما دام عاجزا لا يقدر على أدائها ويفرض له في بيت المال ما يكفيه هو وعياله والسبب في هذا أنه رأي يهوديا ضريرا يسأل على باب .. فقال له ما ألجأك إلي السؤال ؟ فأجابه السن والحاجة والعمي والجزية فأخذ أمير المؤمنين عمر بيده وذهب به إلي منزله وأعطاه ما يكفيه وأرسل إلي خازن بيت المال يقول له : انظر هذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه حين أكلنا شبيبته ثم نتركه عند الهرم .

---

(١) الممتحنة ٨

وليس هذا فحسب بل إن الإسلام يأمر طلبا لحسن العشرة وكرم المعاملة مع بني الإنسان أن نحسن القول حتى مع المخالفين للإسلام في العقيدة وأن نغفر لهم وأن نعاملهم كما نعامل أنفسنا فيما يتصل بالآداب الإنسانية .. فيقول تعالي (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (١) وأيضا نستمع إلي قوله تعالي آمرا رسوله محمد ﷺ (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) (٢) .

ومن سماحة الإسلام أيضا .. ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : مرت بنا جنازة فقام النبي وقمنا .. فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال عليه السلام (أو ليست نفسا؟) إذا رأيتم الجنازة فقوموا .. فهذه الكلمة الصغيرة المبني والكبيرة المعني من الرسول ﷺ (أو ليست نفسا) تدلنا على مقدار ما يراه نبي الإسلام من المساواة بين الناس جميعا بلا فرق بين عقائدهم وأجناسهم وهذه سماحة لا تجدها إلا في الإسلام .

هذه السماحة والرحمة التي يحرص الإسلام على توليدها في نفوس المسلمين وتثبيتها في قلوبهم تتسع حتى تشمل سائر الأحياء من الإنسان والحيوان فها هو ذا رسول الإسلام محمد ﷺ يقول (دخلت امرأة النار في قطة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) ..

ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر رواه الإمامان البخاري ومسلم ..

---

(١) العنكبوت ٤٦ الجاثية ١٤

(بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب .. ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش .. فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي .. فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له .. قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرا؟ قال : نعم في كل ذات كبد رطبة أجر) ..

فإذا كان الإسلام يحث الإنسان هكذا على الرفق بالحيوان ورحمته فكيف بأخيه الإنسان ؟ وقد جمع بين الناس جميعا وحدة الأصل وهو آدم عليه السلام .. ووحدة الخالق العظيم جل وعلا الذي وسعت رحمته كل شئ .. فكيف ؟

فكيف يصدق أن يقال عن الإسلام أنه دين إرهاب ؟ والله يقول عن القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ (وإنه لهدي ورحمة للمؤمنين) (١)، ويقول تعالى عن رسول الإسلام (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (٢)

ويحدد الله تعالى الغاية الأولى من إرسال محمد ﷺ برسالة الإسلام (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) .

---

(١) النمل ٧٧ (٢) آل عمران ١٥٩ (٣) الأنبياء ١٠٧

د. نادية حسنى

الجهاد .. هل هو لفظة مهذبة للإرهاب ؟

.. في موضوع الجهاد لا نتعامل مع ألفاظ ، بل مع مضامين ودلالات ومعانٍ ، ولا يهم شكل اللفظ أو بناؤه بل الأهم هو معناه ومدلوله فلا يمكن أن تكون لفظة (الإرهاب) ببديله عن لفظة (الجهاد) ولا تهذيبا لها فشتان بين دلالة كل منهما ومضمونها ومعناها .

ما هو الجهاد وما أهدافه ؟

١- الجهاد هو القتال وإعداد القوة المادية واستخدامها في سبيل الله (١) وذلك لإرهاب أعداء الله ومقاومة سلطانهم ، دون أي دافع دنيوي .. إنما يكون الدافع إلي القتال هو باعث الإيمان بالله والتصديق برسالته .. ولا يدخل الدفاع عن المال أو العرض أو الأرض أو أية مصلحة مادية في هذا ، فإنه دفاع مأذون به شرعا وإن لم يكن في مفهوم الإسلام جهادا في سبيل الله ، ما لم يتحقق منه الركن الأساسي للجهاد في سبيل الله .. هذا من حيث الدافع أو الباعث .

---

(١) قال تعالي : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) سورة الأنفال آيه ٦٠ الماوردي : الأحكام السلطانيه ص ٣٥ ، موسوعه : فقه عبد الله بن مسعود ص ٢٠٢

(٢) أما من حيث الطلب أو الرغبة التي يسعى المجاهد لتحقيقها في الدنيا ويضحي بحياته ثمنا لذلك . فالمجاهد يقتل أو يُقتل في سبيل مطلب يتحقق في الدنيا هو التمكين لدين الله وإعلاء كلمته ضد من يصدون عن سبيله (١) .

(٣) ثم هناك غاية نهائية بعيدة يرجوها عند الله وهي نيل رضوانه والدرجة العالية من الجنة والظفر بما وعد الله المجاهدين من أجر عظيم إذا ما ظفروا بالشهادة .

وهكذا يمكننا أن نقول أن الجهاد بالقتال له ودافع تتمثل في الإيمان العميق بالله ورسالته .. ثم له مطلب عاجل هو إعلاء كلمة الله و التمكين لدينه ودولته وتطبيق منهجه ، ثم له غاية بعيدة هي نيل مرضاة الله وجنته وما أعده للمجاهدين .. ونؤكد أن الجهاد بالقتال يكون لرد العدوان أو ردع الفتنة الدينية ., عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل : يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليُري مكانه ، والرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل غضبا ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . (٢)

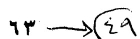
جاءت العقيدة الإسلامية لتكون قاعدة للحياة البشرية على وجه الأرض ولتكون منهجا عاما للبشرية جميعها ولتقوم الأمة المسلمة بقيادة البشرية وفق هذا

---

(١) ابن حجر (أحمد بن علي) . فتح الباري ج٦ ص٢٧وما بعدها

الصابوني (محمد علي) صفوة التفاسير . مجلد١ص٢٩٠.

(٢) النووي الدمشقي : رياض الصالحين باب الجهاد ص ٥١٣.



وقد أراد الرسول ﷺ أن يزداد يقيننا على يقين ، فسأل عددا ممن يثق فيهم عن هذا الأمر ، وعلى رأس هؤلاء زوجه زينب بنت جحش التي كانت تنافس عائشة في مكانتها عند الرسول ﷺ ، ولو علمت زينب عن عائشة سوءا لصارحت به رسول الله ﷺ يروي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقال لزينب : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيرا .. قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع(1).

وإذا كان أهل النفاق قد تلفقوا حديث الإفك وروّجوه فقد أدرك جمع كبير من المسلمين حقيقة مخطط المنافقين ورفضوا أن يخوضوا مع الخائضين في هذا البهتان . ومما يروي في هذا السياق أن أم أيوب قالت لزوجها أبي أيوب الأنصاري : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟! قال : بلي ، وذلك الكذب ! أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ فقالت : لا والله ، قال : فعائشة والله خير منك (2) .

ومع ذلك فلا ننكر أن بعض المسلمين من غير أهل النفاق لم يبعدوا بأنفسهم تماما عن شبهة الانزلاق إلي حديث الإفك ، ومن هؤلاء حسان بن ثابت الذي لم يعرف عنه أنه كان منافقا ، بل كان يدافع بصدق وحرارة عن الرسول ﷺ ، ومع ذلك فقد صدرت منه هنات في قصة الإفك ، وهو الأمر الذي دفع صفوان ابن المعطل إلي اعتراضه وضربه بالسيف .. ولكن حسانا ندم على ما صدر منه في

---

(1) صحيح البخاري ،ج5،ص 151.

(2) الواقدي : كتاب المغازي ، بتحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب بيروت ، ج2، ص 434.

عـدل الإسـلام .. فأرسل رسوله بدينه إلي خلقه فمن قبله قبلناه منه وتركناه وأرضه ورضيا قيمه.. ومن أبي قاتلناه حتى نفضي إلي الجنة أو الظفر(1) .

وقد عقد ابن تيمية فصلا في رسالته عن القتال بحث فيه الباعث على القتال أهو اعتداء الكفار على الإسلام ورد عدوانهم ؟ أم الباعث على قتال الكفار كفرهم ؟ وذكر ابن تيمية أن ثمة اختلافا بين الفقهاء فجمهورهم يقرر أن الباعث على القتال هو الاعتداء على المسلمين ، وذهب القلة من الشافعية إلي أن الباعث على قتال الكفار هو كفرهم والتمكين للدعوة الإسلامية التي هي أمانة في عنق المسلمين إذ أن عليهم الدعوة إلي الإسلام حتى تكون كلمة الله هي العليا .

وعلى ذلك نميل إلي رأي المحققين من فقهاء المالكية والحنابلة والأحناف الذين اتفقوا على أن الباعث على قتال الكفار هو الاعتداء وليس الكفر .. ولقد قال الرسول ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله .. فإذا قالوها عصموا من دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

ولقد ثبت بالنص والإجماع أن أهل الكتاب إذا أدوا الجزية يحرم قتالهم وكذلك المجوس مع أنهم ليسوا أهل كتاب (2) .

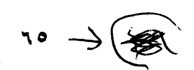
---

(1) الدينوري : الأخبار الطوال ص١٢١.

ابن خلدون : كتاب العبر ج٢ ص ٩٥

سيد قطب : في ظلال القرآن ج٣ص١٤٤٠

(2) ابن قيم الجوزيه : أحكام أهل الذمه ج١ ص ٤١-٤٢



ورأي الجمهور هو النهي يشهد له القرآن والسنة وأعمال الصحابة .. كما يقول ابن تيمية الذي رجح رأي الجمهور وقد احتج من القرآن بقوله تعالى :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) سورة البقرة آية ١٩٠.

وقال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) سورة البقرة آية ١٩٣.

وقال تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) سورة التوبة آية ٣٦
وقال تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سورة البقرة آية ١٩٤

وقال تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) سورة النحل آية ١٢٦.

واستدل ابن تيمية من السنة بأن الرسول ﷺ كان يدعو مسالما والمشركون يؤذونه .. وقد اعتدوا على أصحابه ليفتنوهم عن دينهم ، وكان يدعو بالموعظة الحسنة حتى أرادوا أن يقتلعوا الإسلام من جذوره بقتل النبي ، فخرج عليه السلام مهاجرا . ومنذ ذلك الوقت بعد استقرار الإسلام في المدينة ، اتجه الرسول ﷺ إلي قتال المشركين ليحمي الدعوة وليمنع الفتنة ، فالفتنة أشد من القتل .

وخلاصة القول أن الحرب ضرورة لدفع العدوان وقمع الفتنة التي هي أعظم ضررا من القتال بقوله تعالى :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) سورة البقرة آية ٢٥١.

فالحرب أبغض الأشياء إلي الإسلام فقوام الحرب قتل النفس البشرية ولذلك ذكر القرآن الكريم أن الحرب أمر مبغض للمؤمنين لا يحبونه وإن كانوا يقبلونه إذا

أمر الله تعالى به وكتبه عليهم لأنه خير لهم .. وهذا الأمر المبغض قد تقتضيه الرحمة الإنسانية ذاتها .. لأن ترك الطغيان يتحكم في الضعفاء لا يكون من الرحمة في شئ ، والرحمة الحقيقية توجب دفع الطغيان والقضاء عليه (١) قال تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) سورة الحج اية ٤٠.

وقد قال النبي ﷺ في وصف دعوته : (أنا نبي المرحمة وأنا نبي الملحمة) والواقع أن المرحمة والملحمة متفقتان متلاقيتان فلقد كانت الملحمة من أجل المرحمة والمرحمة هنا أو الرحمة تتمثل في القضاء على الفساد والشر والطغيان وحماية الضعفاء من سطوة الطغاة قال تعالى : (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) سورة العنكبوت آية ٣٧-٤٠.

هكذا كان أمر الله مع الكافرين برسالات السماء وأنبيائها السابقين أهلكهم الله وإن تعددت وسائل هلاكهم (٢) قد يكون الغرق وزلزلة الأرض والخسف بالناس

---

(١) محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام ص ٨٩

(٢) الصابوني : صفوة التفاسير مجلد ٢ص ٤٦٠وما بعدها .

سيد قطب : في ظلال القرآن مجلد ٥ص ٢٧٣٦.

ابن كثير ج١ ص٣٠٢ وما بعدها

وجاءت الصيحة والصاعقة ، والريح العاتية .. ذلك أن رسالات جميع الأنبياء السابقين كانت محلية وزمنية أما رسالة الإسلام خاتم الرسالات فليست محددة بزمان ولا مكان ، فالإسلام للناس كافة ، والإسلام صالح لكل زمان فمن الذي يتولى تأديب المارقين عن الإسلام .. أهم الملائكة ؟ إذا جاءت الملائكة في عهد النبي ﷺ فهل ستأتي بعده لتؤدب الكافرين ؟

وهل للملائكة رسالة بعد عودة الأنبياء إلي ربهم ؟ لذلك فوض الله المسلمين بمنهج القتال ليحملوا عن الملائكة مهمة تأديب المارقين عن الإسلام .. ويمكن تلخيص بواعث الجهاد فيما يلي :

- يستخدم القتال وفقا لهجوم متوقع يعده الأعداء مثلما حدث في غزوة حنين وحصار الطائف .. حين احتجت هوازن . بعد فتح مكة بقيادة مالك بن عوف النصري .
- يقع القتال للدفاع عن الدين والأرض مثلما حدث في أحد والخندق تجمعت الأحزاب لضرب الإسلام .
- يقع القتال ضد من ينقض العهد والمواثيق أي المعاهدات مثل ما حدث مع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وفتح مكة .
- يقع القتال لتأمين المسلمين إذا تعرض لهم من يفتنهم عن دينهم أو يمنع الداعي من تبليغ دعوته .

هكذا نري أن الجهاد دفاع وليس هجوما ، ولا يمكن إطلاقا أن يعتبر الدافع إرهابيا فمن حق من هوجم أن يدافع عن نفسه وحريته سواء حرية الرأي أو حرية الفكر وحرية العقيدة .

إن الولايات المتحدة تقيم الدنيا ولا تقعدها وتتدخل في شئون غيرها تخرج بعدتها وعتادها دفاعا عن الحريات ودفاعا عن حقوق الإنسان في الديمقراطية .. وعن حقوق المرأة في المساواة وعن حقوق الإقليات .. فهل الولايات المتحدة في تلك المواقف تعد إرهابية ! ! ؟

وإذا كانت الدول الكبرى تحارب من أجل حقوق الإنسان .. أليس من حق المسلمين أن يحاربوا ليضمنوا حرية عقيدتهم وفكرهم ورأيهم ! !؟

د. حسن علي حسن

مؤامرات اليهود على الإسلام

ما هـــي ؟

مـن حقائق الإسلام اعترافه بالأديان الأخرى . حتى لو كانت هذه الأديان لا تعـترف بالإسـلام ، والمثال على ذلك اليهودية والمسيحية فهما بنظرة الإسلام دينان سماويان (وإن طرأ تحـريف على كتابهما) وأنبياؤها (لها في الاعتقاد الإسلامي مرتبة دونا مرتبتهم لدي بعض أتباعهما وذلك جزء من الاعتقاد الإسلامي بدونه لا يكتمل إيمـان المسلم بينما لا يعترف أتباع هاتين الديانتين بالإسلام كدين ولا بكتابه كوحي إلهي ولا نبيه محمد ﷺ كنبي ورسول .

بل إن الإسلام ليتميز ويمتاز بأنه الدين الوحيد الذي تجاوز الاعتراف بالآخر وجعل حماية هذا الآخر والدفاع عن حقه والاختلاف ـ الذي هو بنظرة الإسلام كفر ـ جعـل ذلـك عقيدة وذمة ولا يكتمل بـدون رعايـتها والحفـاظ عليها إيمان المؤمنين بالإسـلام . والى هـذه الـذروة يـرتقي الإسلام حيث يجعل من حماية الكفار في دولة الإسـلام دينـا يتعـبد به المسلمون وليست مجرد تسامح أو اختيار إنساني أو حق من حقـوق الإنسـان وتـبعا لهذا الهدي القرآني .. فقد كفل الإسلام لأهل الأرض الحرية الدينية ما لم يعرف له نظير أبدا في سائر بقاعها ..

ومـن هـذا الـمنطلق فقـد أقـر الإسلام الحرية الكاملة للإنسانية وبخاصة فيما تتميز به الإنسانية من العقيدة والفكر والعمل تلك الحرية التي يربطها الإسلام بعيمه

العليا . ويأتي على رأس جوانب الحرية في الإسلام حرية العقيدة والتعويل على العقل الصحيح بشأنها . وهذا حق يرتفع في نظر الإسلام فوق الحياة نفسها وهي أقدس ما تقدمه الأديان فلا يذكر العقل في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى الرجوع إليه .

أما حرية الاعتقاد فهي أول حقوق الإنسان التي يثبت بها وصفه بالإنسانية وشعار الإسلام في ذلك (لا اكراه في الدين) وحقيقة الإيمان هو أن ترفض النفس ما تعتقده ومن المستحيل عقلا أن يكون ذلك بالإلزام ولا اكراه بل بالبيان والبرهان ثم يكون الإنسان بعد ذلك مختارا حرا في اختياره قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .. وحين بعث الله نبيه ﷺ ، كانت يثرب تضم عدة أحياء من اليهود . وأميزها هم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وغير هؤلاء من العشائر اليهودية وكانوا يقيمون في الجهات الجنوبية من المدينة : فمنازل بنو قينقاع على جسر لطجان وبنو النضير على وادي مذنيب وبنو قريظة على وادي مهزور وقد تداخلت مساكنهم عشائر الأوس ..

وأما عن نشاطهم فقد اشتغل اليهود بكثير من الحرف والمهن ويأتي في مقدمتها الزراعة إذا امتلك بعضهم مساحات واسعة كما اشتغلوا بالتجارة حيث ارتبطوا بتجارات واسعة مع بلاد الشام فضلا عن ثرواتهم الواسعة التي مكنتهم من الاشتغال بالإقراض والربا وغيرها من أنواع البيوع الفاسدة .

كان اليهود أهل كتاب . وقد جاءت كتبهم الصحيحة وصحفهم أخبار نبوة النبي ﷺ وصدق رسالته . إلا أنهم حرفوا في كتبهم ولم يؤمنوا بالدين الجديد إلا من عصمه الله منهم وأدرك صدق النبي ﷺ ودعوة الإسلام فدخل في الإسلام وترك دينه

ومما يدل على معرفتهم بالدين الجديد أنهم كانوا يعلنون عن اقتراب ظهور نبي وكانوا يعيرون سكان يثرب بأنه تقارب زمان نبي يبعث وأنهم سيتبعونه ويقتلون العرب قتل عاد وارم وهذا ما دفع سكان يثرب إلى الدخول في الإسلام لما تسمعونه منهم ، فلما بعث الله نبيه ﷺ وقف اليهود من الدعوة الجديدة موقف العداوة والخصومة ، وفي هذا نزل قوله تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ..

أدرك النبي ﷺ أهمية تنظيم المدينة من الناحية السياسية ووضع الأسس القوية التي يتعامل بها المسلمون طوائف اليهود وغيرهم داخل المدينة ومن ثم كانت المعاهدة التي أقرها النبي ﷺ لإيجاد نظام جديد يجعل من المدينة قوة موحدة كقاعدة أمينة ضد الأخطار الخارجية وكخطوة في سبيل تكوين الدولة الإسلامية .. هذه المعاهدة تضمنت عدة بنود تخص اليهود فهناك بند فتح باب الإسلام لمن يرغب من اليهود في الدخول فيه دون اكراه ونص آخر يتضمن كفالة الحرية الدينية لليهود كما نصت عدة بنود أخرى على أن القبائل اليهودية تعد هي وبطونها أمه من المؤمنين ونص آخر على وجوب اشتراك اليود في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب كما حرم نص أخر على أطراف المعاهدة من مسلمين ويهود مناصرة فرين وإيواء واحد منها ونص آخر على وجوب الدفاع عن المدينة ضد أي عدوان خارجي . ونص آخر

أوضح رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود من أجل إشاعة الأمن والطمأنينة ولتصدي لمثيري الفتنة وأن أي خلاف يرد إلي الرسول ﷺ للبث فيه . ونص آخر أن من ارتكب إثما يوجب العقوبة نفذت فيه

ونصوص هذه العاهدة كما يظهر لنا تحقق الأمن والسكينة والكرامة الإنسانية لأفراد المجتمع من المسلمين واليهود . وتدل على أن الرسول ﷺ كان يهدف إلي أن يقيم مجتمعا متعاونا متكافلا علي البر والتقوى في السلم والحرب . وأن يقضي على كل ما يضر المجتمع أو يشع فيه الفوضى والاضطراب . كما تعطي العاهدة للفرد الحرية والعقيدة وفي الإقامة والرحيل بشرط ألا يضر الفرد بغيره . وأعلنت العاهدة الحرب على المغيرين وعلى من يجيرها أو ينصرها وأحلت دماءها وأموالها ودعت إلي تكاتف أهل المدينة في وقت الحرب لدفع المغيرين عنها .وبجانب هذه العاهدة التي ضمنت الحرية الدينية وغيرها من الحريات لليهود . كان سلوك النبي ﷺ ومعاملة الطيبة لهم التي صارت تشريعا يلتزم به المسلمون فيما بعد . فحين وفد عليه وفد نجران النصارى فرش لهم عباءته وأجلسهم عليها .. وروي أبو عبيدة عن سعيد بن المسيب أن الرسول ﷺ تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم ، كما ذكر البخاري عن أنس أن النبي ﷺ عاد يهوديا وعرض عليه الإسلام .. فأسلم فخرج - أي النبي - وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار وقد روي أن الرسول ﷺ كان يحضر ولائهم ويشيع جنازاتهم . وقد مرت عليه جنازة فقام النبي ﷺ واقفا له .. إنها جنازة يهودي فقال عليه الصلاة والسلام أليست نفساً .

وهنا يتبادر إلي الذهن سؤال لماذا سالم اليهود الرسول ﷺ في الشهور التي أعقبت الهجرة ؟ ! ثم لماذا تطورت العلاقات بين الطرفين فيما بعد ؟! فصار اليهود يناصبون الرسول ﷺ العداء لكيد ويديرون المؤامرات وينضمون إلي المشركين نكاية في الإسلام ..

إن تطور العلاقات دل على أن اليهود لم يشتركوا في الترحيب بالنبي ﷺ عند مقدمه إلي المدينة حبًا له وإنما في استدراجه إلي صفوفهم واستمالته إلي جانبهم ولا يستبعد أنهم كانوا يأملون أن يؤلفوا قوة في جزيرة العرب يقاومون بها النصارى الذين أجلوهم عن فلسطين اعتقادا منهم أن الإسلام لن يرضى عن تثليث المسيحية وبعبادة أخرى فلم يكن اليهود مخلصين في عهدهم مع الرسول ﷺ ولم يدخلوا فيه إلا ريثما يجدون لأنفسهم طريقا آخر إذ رأوا تأجيل المجاهرة بالعداء للإسلام إلي الوقت المناسب .. هذه العداوة والدد في الخصومة لم تمنع من إسلام عدد من اليهود في زمن مبكر ومن هؤلاء أسيد بن سعيه وثعلبة بن سعيه وأسد بن عبيد وهم من بني هلال ويذكر بن إسحاق ممن أسلم بالإضافة إلي هؤلاء عبد الله بن سلام ومخيريق وجماعة غيرهم ، غير أن عددا منهم لم يبق مخلصا للإسلام ودولته ووقف عامة اليهود وبمعزل عن الإسلام ولم يتعاونوا مع الرسول ﷺ ولم يشاركوا في أي عمل قام به وإنما بالعكس أخذ عدد من رجالهم البارزين يناقشون الرسول ﷺ ويجادلونه ويحاولون إحراجه والدس عليه فكانوا مصدر خطر على تثبيت سلطة الإسلام وعلى الاستقرار في المدينة بما يثيرونه من الجدل وما يزرعونه من الشكوك . ومن الأسئلة التي وجهها اليهود إلي الرسول ﷺ بقصد إحراجه والإساءة إليه ومحاولة إظهاره بمظهر العاجز كسؤالهم إياه عن الروح وعن طعام أهل الجنة وعن ذي القرنين .. وغير ذلك من الأسئلة الهدف منها بث الشك والريبة في صفوف المسلمين . كما طلبوا من

الرسول ﷺ أن يأتيهم بالمعجزات كما صرح بذلك القرآن (الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) آل عمران (١٨٣) .. كما طلبوا من الرسول ﷺ أن يأتيهم بكتاب من السماء وفي ذلك يقول القرآن الكريم (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) النساء (١٥٣) .

ومع استمرار جدالهم وخصوماتهم نزل القرآن الكريم يلومهم على ذلك ويعتب عليهم (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) البقرة (١٠١) . وفي موضع آخر من القرآن الكريم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين) البقرة (٨٩) .

ومما يؤكد ضلال اليهود وكذبهم وافترائهم ما ورد في إسلام عبد الله بن سلام وكان من أعظم أحبارهم إذ أقبل على النبي ﷺ ووجه إليه بعض الأسئلة فلما تأكد من صدق حديث النبي ﷺ وأنه نبي مرسل . أعلن إسلامه ثم حذر النبي ﷺ من اليهود ووصفهم بأنهم قوم بهت وأنهم إن يعلموا بإسلامه فسوف يطعنون فيه . فاستدعى النبي ﷺ بعض اليهود وأمر عبد الله بن سلام بالاختباء ثم سألهم النبي ﷺ عن عبد الله بن سلام .. فأجابوا بأنه سيدهم وحبرهم ورئيسهم فلما خرج عبد الله وأعلن إسلامه أمامهم ونطق بالشهادتين .. سبوه ولعنوه وقالوا : هو شرنا وابن شرنا وهكذا كانت صفاتهم الكذب والخديعة والتآمر على الإسلام ونبي الإسلام .

ولا يتسع المجال إلي تتبع مؤامراتهم ضد الإسلام ونبي الإسلام وإنما نشير إلي ابرز قبائلهم وعشائرهم وموقفهم من الإسلام ..

ونبدأ بيهود بني قينقاع الذين كانوا يقيمون في الجنوب الشرقي للمدينة وكانوا يمتهنون حرفة الصياغة وأعمال الصرافة . كما دأبوا على إلقاء الأسئلة ومناقشة رسول الله ﷺ كما كانوا حلفاء عبد اله بن أبي سلول زعيم المنافقين ..

بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر . شرع يهود بني قينقاع في التقليل من شأن هذا النصر وبث الإشاعات والأقوال المغرضة ضد المسلمين . ومن ثم جمعهم النبي ﷺ في سوقهم قائلا لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل . تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم قالوا : يا محمد إنك تري أنا قومك !! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة .. إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس قال بن عباس : ما أنزلت هذه الآيات إلا فيهم (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلي جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية في فئتين التقيا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) آل عمران (١٢-١٣) .

وأما السبب المباشر لطردهم من المدينة فهي حادثة عارضة وقعت لامرأة من المسلمين إذ قدمت لسوق بني قينقاع لتبيع تجارتها وجلست إلي صائغ فخلعوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلي طرف ثوبها فعقده على ظهرها وهي غافلة فلما قامت انكشفت سوأتها وضحك اليهود من ذلك وضاقت المرأة فوثب

رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله واجتمع اليهود على المسلم فقتلوه ومن ثم وقع الشر بين المسلمين واليهود .

إزاء هذا التصرف من التصرفات العدائية من قبل يهود بني قينقاع ضرب الرسول ﷺ الحصار عليهم وذلك في النصف من شوال ٢هـ واستمر الحصار خمس عشرة ليلة استسلم اليهود بعدها لقرار النبي ﷺ وهو طردهم إلي أذرعات بالشام .

ومما يتصل بعداوة اليهود للمسلمين في المدينة ما كان يصنعه كعب بن الأشراف اليهودي وكان غنيا مترفا وشاعرا قد امتلأ قلبه حقدا وحسدا وعداوة للدين الجديد ، بل وسافر إلي مكة بعد هزيمة قريش في بدر ليواسي المشركين في مصابهم الكبير وأخذ يحرضهم على الثأر من المسلمين والانتقام لقتلاهم في بدر .. بل وحين سأله المشركون أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه ؟ وأي الفريقين أهدي سبيلا ؟ قال : أنتم أهدي سبيلا وأفضل وفى هذا نزل قوله تعالي (ألم تري إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين أمنوا سبيلا) النساء (٥١) . ولما عاد إلي المدينة استخدم سلاح الشعر في هجاء المسلمين لتعريض بنسائهم .. وكان عقابه أن قتله المسلمون .

أما يهود بني النضير فقد شاركوا بقية يهود المدينة في الدّس والوقيعة والغدر بالمسلمين .. وقد زاد شرّهم بعد خسارة المسلمين في موقعة أحد وما حدث للمسلمين في يوم الرجيع .. حتى بلغ بهم الشر من أن حاولوا قتل النبي ﷺ .. حين ذهب إليهم طالبا منهم أن يعينوه في دفع دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى وكان ذلك واجب عليهم بحسب بنود المعاهدة المبرمة بين المسلمين واليهود فاستجابوا لذلك ..

وحين توجه الرسول ﷺ إلى حيهم في نفر من أصحابه تآمروا عليه وانتدبوا أحدهم ويدعى عمرو بن كعب اليهودي الذي صعد فوق سطح المكان ليلقي بحجر ثقيل على رسول الله ﷺ بغرض اغتياله . فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بمكيدة اليهود فانصرف راجعا إلى المدينة . وحين عاد إلى أصحابه أخبرهم بمكيدة اليهود .

لقد أمهل النبي ﷺ يهود بني النضير عشرة أيام للخروج من المدينة فلما لم يستجيبوا مستعينين في ذلك بالمنافقين . ضرب الرسول ﷺ الحصار وهنا تخلى المنافقون عن نصرة يهود بني النضير وقذف الله في قلوبهم الرعب والخوف والهلع ومن ثم رضخوا لأوامر النبي ﷺ وخرجوا من ديارهم بنفوسهم وزراريهم وما حملت الإبل ما عدا السلاح وفي هذه الواقعة أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الحشر ..

وآخر أحياء اليهود في المدينة كانوا يهود بني قريظة .. وكانت منازلهم في الأطراف الجنوبية الشرقية للمدينة بالقرب من منازل بني حارثة ويبلغ عدد رجالهم ما بين ستمائة أو سبعمائة والكثير يقول بين الثمانمائة والتسعمائة ..

وقد ظهر غدر بني قريظة وخيانتهم بشكل واضح عندما قررت قريش .. ومن انضم إليها من أحلافها لغزو المدينة في السنة الخامسة من الهجرة ـ غزوة الأحزاب ـ وذلك بتحريض من يهود بني النضير . وأقبلت جموع المشركين في عشرة آلاف مقاتل وضربوا الحصار على المدينة إلا من جهة بني قريظة .. الذين كانوا مكلفين بالدفاع عن المدينة بموجب المعاهدة بينهم وبين المسلمين . ولم تكتف حين بدأ أخطب زعيم بني النضير بتحريض الأحزاب . وإنما نجح أيضا في استمالة كعب بن أسد القرظي زعيم بني قريظة الذي استجاب لهذا التحريض ونقض العهد بينه وبين

المسلمين في أحلك اللحظات بحيث صار المسلمون بين عدوين : العدو الأول الأحزاب من أمامهم وبنو قريظة الخائنين للعهود من خلفهم وهو موقف صعب وخطر تعرض له المسلمون ووصفه القرآن الكريم بقوله (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون . هنا لك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) الأحزاب (١٠-١٢) .

وفي هذه اللحظات الحرجة قيض الله للإسلام مسلما وهو نعيم بن مسعود الأشجعي الذي استطاع بتوفيق من الله أن يخذل بين الأحزاب وبين اليهود ودبت الفرقة والشقاق بينهم ثم رحل الأحزاب عن أرض المعركة وعادوا إلي مواطنهم يجرون أذيال الخيبة والعار والهزيمة والانكسار . وبعد انصراف الأحزاب مباشرة توجه المسلمون إلي حي بني قريظة لمعاقبتهم على خيانتهم وغدرهم وضربوا عليهم الحصار ذلك الحصار الذي استمر خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وألقي الله في قلوبهم الرعب ومن ثم استسلموا ونزلوا على حكم سعد بن معاذ الذي قضي بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبي الذراري والنساء .. لقد استحق بني قريظة القتل والسبي جزاء خيانتهم وتعاونهم مع العدوان في أحلك اللحظات التي واجهها المسلمون ومن ثم نالوا جزاء غدرهم وخيانتهم ..

أما يهود خيبر .. وتقع حصونهم على بعد مائتين وخمسين ميلا شمال المدينة فكانت حصونهم وكرا للدسائس والمؤامرات ومركزا للاستفزازات العسكرية كما صارت حصونهم ملجأ ليهود بني النضير . يضاف إلي ذلك الدور الفعال الذي لعبه يهود خيبر في تحريض الأحزاب والاتصال سرا بالمنافقين فضلا عن تحريض القبائل ضد المسلمين . لهذه الأسباب مجتمعة كان من الضروري القضاء على هذا الخطر الداهم

ومن ثم تحرك المسلمون صوب حصون خيبر وبعد قتال مرير سقطت عدة حصون في أيدي المسلمين . وما تبقى من حصونهم طلب التفاوض مع رسول الله ﷺ وتم التصالح بين المسلمين وبينهم على حقن دمائهم وتركهم في أراضيهم يستثمرونها ويؤدون عنها ضريبة سنوية .

وبالرغم من هذه المعاملة الحسنة التي عامل بها النبي ﷺ يهود خيبر إلا أن امرأة يهودية تدعى زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم اليهودي جهزت شاة مشوية مخلوطة بالسم وأهدتها للنبي ﷺ رغبة منها في التخلص منه فلما شرع النبي ﷺ المضغة أما بشر فقد استساغها وأكل منها وقال النبي ﷺ إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ونجا النبي ﷺ فقد مات . واستدعى النبي ﷺ المرأة اليهودية التي اعترفت بجريمتها . واختلفت الروايات في معاقبة المرأة وأجمعوا أنه تجاوز عنها أولا فلما مات بشر قتلها قصاصا .

وهكذا منذ اللحظات الأولى لنزول النبي ﷺ المدينة واليهود يتآمرون وينشرون الإشاعات هنا وهناك ويجادلون طمعا منهم في القضاء على الإسلام . بل وتآمروا على قتل النبي ﷺ كما فعل يهود بني النضير وزينب بنت الحارث اليهودية . أما بنو قريظة فقد ارتكبوا الخيانة العظمى حين تآمروا واتفقوا مع الأحزاب على استئصال شأفة المسلمين وكان مصيرهم القتل .. وبالرغم من معرفتهم بنبوة الرسول ﷺ ورسالته وذلك من خلال كتبهم بل وقد بشروا به قبل مجيئه إلا أن الحقد والحسد أكل قلوبهم فلم يدخروا جهدا ولا مالا إلا بذلوه للقضاء على الإسلام . وظهرت أفعالهم الخبيثة ظاهرة وواضحة وهذا هو دأبهم على مر العصور والأزمان ..

د. عبد الله محمد جمال الدين

ردّ ادعاء أن المسلمين لم يكونوا يحترمون الحضارات القديمة .. ولهذا أحرقوا مكتبة الإسكندرية

على عكس هذا تماما ، فقد آمن المسلمون بوحدة التراث الإنساني ، ولهذا ترجموا مؤلفات عن اليونانية والفارسية القديمة والهندية ، وقد عرف عن النبي ﷺ أنه قال : الحكمة ضالة المؤمن ، أني وجدها أخذها (سنن الترمذي) ومن الأقوال المأثورة عند المسلمين (اطلبوا العلم ولو في الصين) أي لا يحول البعد المكاني ولا اختلاف العقيدة بينكم وبين الحرص على طلب العلم والبحث عن المعارف .

وقد أوضح الفيلسوف المسلم ابن رشد موقف المسلمين من الحضارات القديمة في عبارة واضحة : (إن الشرع يوجب الإطلاع على كتب القدماء مادام الهدف الذي يقصدون إليه هو ذات المقصد الذي حثنا عليه الشرع . ننظر في الذي قالوه في ذلك وما أثبتوه في كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم) .

وفيما يتعلق بمكتبة الإسكندرية .. والزعم بأن المسلمين أحرقوها بعد فتحهم لهذه المدينة ، وأن الذي قام بذلك هو عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر ابن الخطاب ؓ فكل ذلك لا أساس له من الصحة .

وأول مـن أشـار إلي هذه التهمة هو (عبد اللطيف البغدادي) في كتابه (الإفادة والاعتبار في الأمـور المشـاهدة والحـوادث المعانـية) ثـم تبعه بعد ذلك ابن القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) وبعده أبو الفرج الملطي في (مختصر الدول) ..

وقد جاء كلام البغدادي عرضا عند وصفه لمدينة الإسكندرية أثناء رحلته إليها قـال : وعمـود السـواري علـيه قـبة هـو حاملها ، وأنه كان الرواق الذي يدرس فيه (أرسـطوطاليس) وشـيعته مـن بعـده ، وأنه دار العلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينته ، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بأمر عمر ﷺ .

أمـا ابـن القفطـي وقـبله ابـن الملطـي ، فقـد أفاضا في الحديث عن ذلك عند ترجمتهما ليحي النحوي وذكرا أن عمرو سمع بهذا الأخير والتقي به وأعجب كثيرا بعـلمه وبمـا يعـرفه مـن حقـائق فلسـفية ومعـارف راقـية لم يكـن للعرب بها عهد، وأضافا أن يحي طلب من عمرو إعطاءه مكتبة الإسكندرية ، لما حوته من كتب ثمينة بلغ عددها ٥٠١٢٠كتاب ، ولما كتب عمرو إلي أمير المؤمنين يستأذنه كان رده :

(.. إن كـان فـيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غني .. وإن كان فـيها مـا يخالف كتاب الله ، فلا حاجة إليها ، فتقدم بإعدامها .. فشرع عمرو بن العـاص في تفـريقها عـلى حمامـات الإسـكندرية وإحـراقها في مواقدهـا ، وكان عدد الحمامـات عندئذ أربعة آلاف حمام ، أحرقت المكتبة في مواقدها فاستنفدت في ستة أشهر) ..

وهـذه الرواية تحمل في طياتها آيات ضعفها ، إذ كيف يستقيم القول بإحراق عمـرو للمكتـبة ثم تسليمها لأصحاب الحمامات ؟! هل كان من الصعب أن يشتريها أصـحاب الحمامـات هـؤلاء ، وخصوصا وقدر هذه الكتب وقيمتها معروف ليحي أو

يوحنا النحوي وأمثاله ؟! وكيف يمكن تصور أن أربعة آلاف حمام استمرت أفرانها تستعمل هذه الكتب وقودا لها ولمدة ستة أشهر ؟ ألم تكن الكتب آنئذ من مادة (الكاغد) التي لا تصلح وقودا للنار ؟ أضف لهذا أن المؤرخين قد أثبتوا أن شخصية يوحنا النحوي - التي زعمت القصة أن عمرو لقيها - لم يكن لها وجود عند الفتح الإسلامي لمدينة الإسكندرية ، فقد مات قبل ذلك الفتح بنحو فترة تتراوح بين ثلاثين وأربعين سنة ، وقد روي المؤرخ (اليانوس مار سينيوس) أن مكتبة الإسكندرية قد تعرضت للتلف التام عندما حاصر يوليوس قيصر مدينة الإسكندرية وأيد ذلك (أورانزيوس) الذي زار الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي ورأي بنفسه رفوف مكتبتها خاوية ..

على أن نصوص معاهدة الإسكندرية تتضمن نصا يقرر هدنة مقدارها أحد عشر شهرا ، فهل عجز الرومان عن حمل أمتعتهم ونفائس مكتبتهم خلال هذه الفترة الطويلة ، ألم يسمح المسلمون لهم بنقل أموالهم وما يريدون ، فما الذي حال بينهم وبين نقل نفائسهم وكتبهم الثمينة إلي القسطنطينية وبنود المعاهدة تعطيهم هذا الحق؟!

ثم هل الفكر الإسلامي والتاريخ الحضاري للمسلمين يشهد بصحة هذه الرواية؟

لقد أشرنا إلي أن المسلمين عرفوا قيمة المعرفة منذ أيام الإسلام الأولي وآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ المبينة للعلم وفضله وفيرة عديدة ، ويكفي أن نشير إلي ما فعله النبي ﷺ عقب غزوة (بدر) من إطلاق سراح كل أسير مشرك يتعهد بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، كما نشير إلي النهضة العلمية التي رعاها المسلمون وإلى محافظتهم على تراث الأمم الأخرى وعلى ثقافات البلاد

التي فتحوها ونقلها للغة العربية وسماحهم لغير المسلمين بالإسهام في تلك الحركة العلمية وإثرائها ، فهم يطلبون الحكمة ويبحثون عن المعرفة حتى من أفواه المشركين فهل يستساغ بعد ذلك كله ما جاءت به هذه الرواية ؟!

وإذا كان لها ظل من الحقيقة ، فلماذا لم يذكرها ثقاة المؤرخين ممن شاهدوا أحداث الفتح الإسلامي للإسكندرية .. مسلمين كانوا أم مسيحيين ، لماذا ظلت طي الكتمان إلي أن أشار إليها الرحالة عبد اللطيف البغدادي في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ؟ ثم تلقفها منه أمثال ابن القفطى والملطى اللذين عاشا حتى أواخر القرن السابع الهجري نفسه .. أغلب الظن أن هؤلاء تلقفوها من مصدر واحد معاد للعرب والمسلمين ، اختلقها ليرضي حاجة في نفسه ، وخصوصا وقد شاعت في جو الحروب الصليبية المعادية للإسلام والمسلمين ، فهي من نوعيته الحروب المعنوية وإلاّ فالثابت تاريخيا أن المكتبة أحرقها الرومان قبل الفتح الإسلامي لمصر بقرون .

ثم كيف يتهم عمر بن الخطاب ﷺ بأنه أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية وهو الذي حافظ على أديرة المسيحيين في الشام وبيت المقدس ، وكانت هذه الأديرة مليئة بالمؤلفات اليونانية المترجمة إلي السريانية ، والتي استفاد منها المسلمون ابتداء من العصر العباسي .

وقد تصدي مستشرق هو (الفريد بتلر) صاحب كتاب (فتح العرب لمصر) وفندها وأوضح بطلانها ، ونذكر هنا شيئا مما قال :

(إنها بلا شك قصة خلابة المظهر .... ولو سلمنا أن المكتبة قد أحرقت كما قيل ـ لكان الأقرب إلي الأذهان أن تحرق فوق ربوة القلعة ، ولكن القصة تريدنا أن نقول أن الناس قد تكلفوا مشقة حملها في عبوات وفرقوها بين الحمامات مدة ستة

أشهر ، وما كل ذلك سوي نسيج من الباطل .. وكان في إمكان فيليبونوس أو سواه أن يستنقذ عددا عظيما منها بثمن بخس في تلك الشهور الستة .. ومما لا شك فيه أن كثيرا من الكتب في مصر في القرن السابع كانت من الرق الذي لا يصلح للوقود .. وكيف يتصور أنها تكفي وقودا لأربعة آلاف حمام مدة مائة وثمانين يوما ، إن إيراد القصة على هذه الصورة أمر مضحك ، ونركز ما مضي فيما يلي :

١ـ إن قصة الحرق هذه لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة سنة من وقت الحادثة المزعومة .

٢ـ إنها مستبعدة عقلا بل وسخيفة فالرجل الذي تذكره مات قبل الفتح العربي بزمن طويل .

٣ـ إنها تشير إلي إحدى مكتبتين الأولي مكتبة المتحف وهذه ضاعت في الحريق الكبير الذي أحدثه يوليوس قيصر أو قبل الفتح بما لا يقل عن أربعمائة سنة وأما الثانية فهي مكتبة (السرابيوم) وهذه أما تم نقلها من المعبد قبل عام ٣٩١وأما أن تكون قد هلكت وتمزقت كتبها وضاعت واختفت قبل الفتح الإسلامي بقرنين ونصف قرن

٤ـ أن كتاب القرنين الخامس والسادس وأوائل السابع لم يذكروا شيئا عن هذه القصة .

٥ـ أنها لو كانت باقية عندما عقد (قيرس) صلحه مع المسلمين عند تسليم الإسكندرية ، لكان من المؤكد نقل هذه الكتب خاصة وشروط الصلح تسمح بنقل المال والمتاع خلال مدة الهدنة المقدرة بأحد عشر شهرا .

٦ـ لو صح أن المسلمين أتلفوها ، ما أغفل ذلك من كان قريبا من زمن الفتح الإسلامي من أهل العلم مثل (حنا النقيوسي) الذي لم يكتب هو ولا غيره حرفا واحدا عن ذلك .

وكل ذلك يبرر شك (رنيودو) حول هذه القصة كما يبرر عدم تصديق (جيبون) إنها في النهاية قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ .. وقد بينت المستشرقة الألمانية (زيجريد هونكه) بدورها في كتابها (الله مختلف تماما) أن العرب عندما دخلوا الإسكندرية عام ٦٤٢م لم تكن هناك مكتبة فقد تم إحراقها قبل ذلك بقرون ، أما المكتبة القديمة التي كانت ملحقة بأكاديمية بطليموس الأول (سوتر) التى أسسها عام ٣٠٠ق.م تقريبا فقد أحرقت عام ٤٧ق.م عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة ..

لقد شهد القرن الثالث الميلادي بداية التدمير المنظم للمكتبة عندما عطل القيصر (كاراكالا) الأكاديمية ، وقام المتحمسون الدينيون بتدمير المكتبة بوصفها عملا وثنيا ، وفي عام ٣٩١م استصدر البطريرك (تيوفيلوس) من القيصر (تيودوسيوس) إذنا بتدمير باقي الأكاديمية وإحراق ما تبقى من المكتبة الملحقة بها . وكانت نحوي ثلاثمائة ألف لفافة من الكتب وذلك بهدف إقامة كنيسة ودير بدلا منها ، واستمر التدمير في القرن الخامس عن طريق الإغارة على العلماء الوثنيين وعلى أماكن عبادتهم وتدمير مكتبتهم .

من هذا يتضح براءة المسلمين تماما من هذه الفرية الظالمة .. فرية إحراق المسلمين لمكتبة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي لتلك المدينة .

د. عبد المقصود باشا

علاقات المسلمين بغيرهم في السلم والحرب

الحمد لله رب العالمين . خلق الناس من أم واحدة وأب واحد وأمرهم بالمحبة والتراحم . والصلاة والسلام على سيدنا محمدﷺ الذي كان مثالا يحتذى في محبة الآخرين وصدق التعامل معهم ... وبعد .

فقد سبقني الكثيرون في الكتابة في هذا الموضوع . وعلى رأسهم الشيخ محمد أبو زهرة وعباس محمود العقاد وآخرين ممن لا تطال هاماتهم .

ولكنها محاولة مني لإلقاء الضوء على موضوع نحن في أمس الحاجة لإعادة قراءته وتطبيقه . إذ أن العلاقات الطيبة بين المجتمعات قربت مسافاتها أو تناءت ينتج عنها الخير الكثير للجميع ، وتبتعد الحروب التي تجلب الشر والدمار اللذين لا يحبهما إنسان ..

وما يجمعنا كبشر أكثر مما يفرقنا فالحياة طيبة وفى الأرض متسع للجميع والخيرات كثيرة تفيض عن الحاجة لو أحسن البشر الأخذ والعطاء واعتبر كل منا أن الإنسان ـ أي إنسان ـ أخ له ومن منا لا يحب أخاه ..

أنني أناديك أخي في الإنسانية . هيا نفتح صفحة جديدة نطوي فيها الآلام ونفتح بها الآمال في غد أكثر إشراقا تملأه الورود والرياحين وتعلو فيه ابتسامات الأطفال وضحكات الصبايا فتصبح الدنيا أكثر إشراقا .

دعائم العلاقات الإنسانية

أوردت النصوص القرآنية الإنسان باعتباره خليفة في هذه الأرض وأن الله سخر له ما في الكون وجعله تحت سلطانه وأعطاه الاستعداد للعلم بكل شئ في الكون وأودع في تكوينه العقل .. وهذا التكريم ليس خاصا ببعض ولا بجنس (كلكم لآدم وآدم من تراب) (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ..

وفي الأثر أن النبي غضب غضبا شديدا حينما عير رجل رجلا آخر بسواد امه وقام واقفا من مجلسه حينما مرت به جنازة يهودي ..

والإسلام يعتبر الناس جميعا أمة واحدة . أصلهم واحد ثم فرقتهم الأهواء وليس اختلاف اللغات والألوان في رأي الإسلام بمانع من الوحدة الإنسانية الجامعة بل هذا الاختلاف من سنن الله في خلق الإنسان . عند ذلك تكون خيرات الأرض كلها لابن هذه الأرض .

وحارب النبي التفرقة في المعاملة بسبب اللون أو الجنس أو الأصل . فعلى العالم أن يعلم الجاهل وليس له أن يستبد به . وهكذا حارب الإسلام التميز بالألوان والعناصر والأجناس ورفض العصبية القومية إذ التعصب مردى للأوطان .

ولكن التعاون بين البشر مبني على الخير .. يحمي كل فضيلة للجميع ويمنع كل أذى عن الجميع لذلك عقد النبي المعاهدات ليتجنب الإنسان ظلم أخيه الإنسان ودعي الإسلام إلي التسامح والصفح الجميل في غير استسلام للشر ..

والحقيقة الواضحة للعيان من تاريخ الإسلام أن التسامح والصفح الجميل هو السياسة التي رسمها النبي ﷺ في العلاقات بين الناس . وليس أدل على ذلك من موقفه في فتح مكة وموقفه من أسرى بني المصطلق .

وحفظ الإسلام للإنسان حريته . حرية تبدأ بتحرير النفوس من سيطرة الشهوات وتجعلها خاضعة لسلطان العقل .

ولذلك لم يكره أحدا على اعتناقه بل ضمن حرية العقيدة احتراما كاملا (ولا إكراه في الدين) .. والأمثلة على احترام العقائد الأخرى في التاريخ الإسلامي كثيرة ولذلك منع الإكراه والإغراء، بل دعي إلي النظر الحر في الكون .. ومن أعمال الرسول ﷺ وصحابته قاعدة تقول (أمرنا بتركهم وما يدينون) ..

وقرر الإسلام أن لكل أمة أن تقرر مصيرها من غير اعتداء على أمة أخرى وفي حال وقوع حرب لا يجوز التحكم في المغلوبين وانتزاع ما بأيدهم من أموال وعقارات .

ويدعو الإسلام التمسك بالفضيلة بين الآحاد أو الجماعات في السلم والحرب هذا قانون عام يشمل الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ومن يعيش في مجاهل الأرض أو في حواضرها أو بين عالم الناس أو جاهلهم لأن الفضيلة وقواعد سلوكها حق لكل إنسان بمقتضى آدميته فإن حدث اعتداء يجب رده بمثله ولا يجب مجاراة الأعداء في مآثمهم، ودعي إلي العدالة واعتبار البشر أمام القانون سواء إذ كان لكل دين سمة فسمة الإسلام العدالة وهي شعاره وميزانه الذي يحدد العلاقات بين الناس سلما وحربا ففي السلم حسن الجوار يقوم على العدل والحرب لا تكون إلا لتحقيق مبدأ العدل .. ويري الإسلام أن العالم لا يصلح إلا إذا كانت العدالة هي ميزان العلاقات الإنسانية فلا يبغي القوي على الضعيف ولا يحابي الأقوياء بعضهم .. وفي قول

الرسول ﷺ (عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به) شريعة تحقق مبدأ العدالة والتسامح وتمنع الفساد.

إن الفضيلة في الإسلام إيجابية هادية لا سلبية قاطرة وهي التي تتيح للفرد أن يندمج في مجتمعه عضوا صالحا يألف ويؤلف مع الضرب بقوة على أيدي الذين يعيثون في الأرض فسادا ويروعون الآمنين وبهذا يتحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ويقرر الإسلام الوفاء بالوعد والعهد حتى تسود المودة بين الإنسانية كلها في أقطار المعمورة ..

وإذا اختلفت الأديان فإن أهل كل دين لهم ان يدعوا إلي دينهم بالحكمة والموعظة من غير تعصب يصمهم عن الحقائق ولا إكراه ولا إغراء بغير الحجة والبرهان ولا إرهاق ولا استهواء بغير الحق ..

والبشر كلهم أصلهم واحد بينهم جميعا صلة رحم يجب وصلها اختلفوا في الدين أو اتفقوا فيه .. فالبر ثابت للمسلم وغير المسلم وهذه المودة وتلك الصلة تفتح الباب للسلام وحسن الجوار والتعاون .. ويقرر الإسلام ضرورة رد الظلم عن الضعفاء وضرورة إطلاق الحريات خصوصا حرية التدين وما كان قتال المسلمين لغيرهم إلا لحماية هذه الحرية . كما يمنع الإسلام الفساد في الأرض ويدعو إلي المحافظة على النفس والمحافظة على الدين والمحافظة على النسل والمحافظة على العقل والمحافظة على المال .. وحث على إصلاح الأرض والانتفاع بها رفعا للمستوي الاقتصادي لشعوب الأرض إن الإسلام مبدأه أن تكون العلاقات بين الدول على أساس السلوك العادل الفاضل المستقيم.

العلاقات الدولية في حال السلم

يدعو الإسلام دائما إلي السلام في جميع أحواله ويعتبر الحرب من اغواءات الشيطان ويقرر أن السلام أصل من أصول العلاقات الإنسانية بين الدول ولا ينبغي التدخل في شئون الآخريين إلا لنصرة مظلوم أو إكراه على دين أو منع فتنة فهو يحترم حق كل دولة في الوجود وحقها في أن تكون سيدة نفسها .

إن المجاملة بين الأقوياء قد تجعل العين تغضي عن ظلم الضعفاء من الدول والعرف الدولي القائم يسير على أنه لا سلام ثابت بين دولة وأخرى إلا بميثاق عدم اعتداء وهذا الميثاق يبقي ما دامت القوتان متعادلتين .. لكن الإسلام قرر أن الأصل في العلاقة بين الدول كالأصل في العلاقة بين الأفراد هو السلام بصريح القرآن وفعال بني الإسلام، فرض القتال على المؤمنين .. فرض الله القتال على المؤمنين وقال إنه أمر مكروه إلا أنه قد يكون ضرورة ملزمة إما لرد اعتداء أو لنصرة ضعيف أو تحكم ذي سلطان في اختيار وفرض عقيدة ما على رعاياه .. وقد حاول كسري قتل النبي ﷺ وأمر هرقل بقتل من أسلم من أهل الشام .. لقد كانت حرب المسلمين لأمرين حفاظا على ديارهم من أن تغزى وحفاظا على دينهم من أن يطمس .

وإذا كان قانون الفتح قد ساد بين الحكام السابقين على أساس أن الويل للمغلوب فإن القانون بعد مجيء الإسلام قام على أساس العدل والفضيلة لا سيادة ولا مسود ولا غالب ولا مغلوب بل عدل وإنصاف .

وما بقاء الأقليات الدينية في بلاد المسلمين حتى الآن وحماية صلبانهم وكنائسهم والصلات الطيبة الثائرة بين هذه الأقليات وبين الأكثريات المسلمة في الدول المسلمة وتجاورهم في المساكن ومجاملاتهم بعضهم البعض في المناسبات الدينية

والاجتماعية إلا دلالة على أن العلاقات في الإسلام إنما تقوم على العدل والفضيلة والمحبة والإنصاف .. وإن تسمية دار المخالفين دار حرب لا يمنع من أن الأصل هو السلم.والفقهاء الذين قرروا ذلك كان نظرهم إلي الواقع العملي في عصرهم .. على أن هناك من الفقهاء من قرر.أن مابين دار الحرب ودار السلم دار .وسطا تسمي دار العهد .. على أنه يجب أن نلاحظ أن العالم تجمعه الآن منظمة واحدة هي منظمة الأمم المتحدة قد التزم كل أعضائها بقانونها ونظمها.وحكم الإسلام في هذه انه يجب الوفاء بكل العهود والالتزامات عملا بقانون الوفاء بالعهد الذي قرره القرآن وعلى ذلك لا تعد ديار المخالفين التي تنتمي لهذه المؤسسة العالمية دار حرب بل تعتبر دار عهد ، إن لسيادة الدولة مظهرين أحدهما خارجي ينظم العلاقات الدولية على أساس من الاستقلال والثاني بسط سلطانها في الداخل بحيث يكون جميع الرعايا خاضعين لقوانين هذه الدولة .. وتثبت سيادة الدولة الإسلامية على غير المسلمين الذين يستظلون برايتها وهم قسمان ذمي ومستأمن .. فالذمي هو الذي يقيم مع المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم . وعقد الذمة عقد أبدي ولا بد فيه أن يلتزم الذمي بالإسهام في بناء الدولة والاشتراك في ميزانها المالي .. وقرر فقهاء الأحناف أن للذمي شرب الخمر وأكل الخنزير إن كان يعتقد أن ذلك حلال له وقد أوجب الأحناف الحرية الشخصية لأهل الذمة فلو أراق مسلم خمرا لذمي أو قتل خنزيرا له وجب على المسلم أن يدفع قيمة ما أتلف ، ولو فعل ذلك لمسلم لا يجب عليه دفع قيمة ما أتلف . لأنهما مال محترم عند الذمي وغير محترم ولا متقوم عند المسلم .. أما المستأمن فهو غير المسلم الذي جاء لبلاد المسلمين لظروف معينة فهو في أمن وأمان إلي أن يخرج .. (كسائح أو سفير)

الجزية .. ان الناظر إلي هذه الضريبة التي سماها القرآن الجزية يجدها تقل عما يؤديه المسلم من واجبات مالية بمقتضى دينه . فالمسلم يؤدي مما يملك من أموال منقولة ما مقداره ربع العشر من رأس المال . والعشر من غلات الأموال الثابتة وعلى المسلم بمقتضى أحكام دينه كفارات ونذور مثل كفارة اليمين وكفارة الإفطار في رمضان

ولا يمكن تكليف الذمي بهذه التكاليف المالية حتى لا يتدخل ولي الأمر في الحرية الدينية ولذلك كانت ضريبة الجزية مشاركة من الذمي في بناء المجتمع ولا يأخذ المسلمون من هذه الضريبة شيئا وعلى الدولة أن تقوم بإعانة المحتاجين من اهل الذمة وشخص الذمي ودمه محترم وحريته الشخصية مصونة . وكرامته محترمة لأنه إنسان مصون الكرامة كالمسلم على حد سواء قال الرسول ﷺ (من اذى ذميا فانا خصمه يوم القيامة ومن خاصمه خصمته)

دار الحياد .. بل إن هناك وسطا أخر يمكن أن نسميه دار الحياد ويفرض الحياد عند وجود قوتين متنازعتين في السلطان والنفوذ. وعند وقوع حرب بين دولتين أو أكثر وقد فرض القرآن الكريم أنه إذا نشبت حرب بين المسلمين وغيرهم من الدول وأن من هذه الدول من لا يريد أن يقاتل مع المسلمين ولا مع خصومهم فهؤلاء محايدون وقد أوجب القرآن احترام حيادهم قال تعالي في سورة النساء آية رقم ٩٠ (إلا الذين يصلون إلي قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم . فإن اعتزلوكم فلما يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فهذا نص صريح على أن الأصل هو السلام والحرب عارضة ..

والخلاصة .. أن أحكام السلام في الإسلام مبنية على ؟

- إقامة العدالة بين المسلمين وغيرهم وتحقيق التعاون بين بني الإنسان حتى تقوم العلاقة بينهم على المودة.

- منع المسلمين من أن يعتدوا على غيرهم لأن الإسلام يمنع الاعتداء أيا كانت صورته.

- حماية الحريات لغير المسلمين خصوصا حرية العقيدة.

العلاقات الدولية وقت الحرب

الحرب أبغض الأشياء إلى النفس لأن قوام الحرب قتل النفس البشرية والمسلم لا تسوغ له نفسه أن يهدم ما بناه الله لكنها رغم بغضها قد تكون رحمة فإن ترك الطغيان يتحكم في الضعفاء يوجب دفعه كما يجب عدم ترك الرذيلة تعتدي على الفضيلة والشر يطغي على الخير. فالرحمة توجب نصرة الحق والفضيلة ورد الشر وهنا تكون الحرب لتحقيق العدل وتحكيم القانون وسيادة الأخلاق والسلوك الإنساني المستقيم. فالمطلوب من المقاتل المسلم أن يرد الظلم عن المظلومين ووقف اعتداء المعتدين..

وقبل المعركة لا بد من تخيير العدو بين الإسلام أو العهد أو القتال وهذا التخيير حتى لا يأخذ المسلمون أعداءهم على غرة وقد روي أن الرسول ﷺ قال في دعائه قبل مباشرة القتال في بعض حروبه (اللهم إنا عبادك وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك اللهم أهزمهم وانصرنا عليهم (1)..

وهذا الدعاء يثبت الإيمان بوحدة الإنسانية والإيمان بوحدة الخالق لذلك كان النبي حريصا على منع القتال وقد أوصى معاذ بن جبل بقوله : لا تقاتلوهم حتى

تدعوهم . فإن أبو فلا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فإن بدؤوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ثم أروهم ذلك وقولوا لهم هل إلي خير من هذا سبيل) فنية السلام قائمة حتى عند تلاقي الجيشين

أما في قلب المعركة إذا احتدمت فقد نهي الإسلام عن قتل كل من لا يحمل السلاح وعدم قتل رجال الدين وعدم قتل النساء والصبيان أو قطع الشجر المثمر أو حرقه أو تخريب عامر أو ذبح حيوان إلا لتناول الطعام وعدم قتل العمال .

فإذا كان العدو منطلقا من القيود الخلقية فجيش المسلمين مقيد بها لا يجاريهم في الرذائل لأنه مقيد بالخلق الكريم ولنا أن نقارن بين موقف المشركين في غزوة أحد وموقف المسلمين في العصر الإسلامي الأول أو بين ما صنعه صلاح الدين الأيوبي وما صنعه الفرنجة أو نابليون بونابرت عندما أراد فتح عكا فبينما أطلق الاول أسراه وسباياه نجد الثاني يقتل صبرا ثلاثة آلاف اسير مسلم صبرا بعد أن أعطاهم عهدا بحقن دمائهم وقام الثالث بإعمال السيف في أهل عكا فحصدهم حصدا ...

وقارن أيها القارئ الكريم بين هذه المواقف التي يمثل أحدها النور والفضيلة والبطولة والإنسانية ويمثل الثاني الظلمة والرذيلة والنذالة والوحشية غير المحكومة بدين أو خلق .

إن المبادئ لا تطاع إلا من أناس ربانيين لهم سمو في أخلاقهم وتفكيرهم وأرواحهم ولا يضيرها ولا ينقص من علوها مخالفة النافرين في إنسانيتهم منها ..

انتهاء الحرب .. الحرب تنتهي بواحدة من أمور إما باستنفاذ أغراضها أو باستسلام الجيوش أو بعقد ذمة أو طلب أمان أو بهدنة مؤقتة لأمد معلوم أو بصلح مستمر وقد أمر الإسلام بالاستجابة إلي السلام إذا دعي المسلمون إليه .

المحتويـــــات

رقـــم الإيـــداع

٢٠٠٩٤/٢٠٠٣